صورولوجيا الآخر في الرحلة اليابانية
لـ علي أحمد الجرجاوي
دراسة وصفية

الدكتور

أبو المعاطي خيري الرمادي

أستاذ الأدب الحديث المشارك

جامعة الملك سعود/ كلية الآداب

الملخص:-

انفتحت الرحلات بحكم طبيعتها الإثنوغرافية على الآخر، ونقلت للذوات صوره التي اختلفت من رحلة إلى أخرى، ومن رحالة إلى آخر، بسبب انتماءات الرحالة الدينية، والفكرية، والسياسية، وأسباب ارتحالهم، لذا كانت ميدانًا خصبًا للدراسات الصورولوجية المعنية بدراسة الآخر في الآثار الأدبية، وتحديد الأسس التي يبنى عليها مبدأ الغيرية، تسعى هذه الدراسة إلى قراءة صورة الآخر في الرحلة اليابانية، وتحديد المرتكزات التي ارتكز عليها الرحالة في أثناء رسمه لصورة الآخر، وأثر هذه المرتكزات في تشكيل ملامح الصورة.

الكلمات المفتاحية: الرحلة . أدب الرحلة . الصورة الأدبية . الذات . الآخر.

The Imagology of the Other in Al-Gergawi's "The Japanese Journey": A descriptive Study

Dr.Abu Al-Maati Khairi Al-Ramadi
Professor of Modern Literature Co
University King Saud / College of Arts

Abstract:

Travels have made their own way to the other due to their ethnographic nature. They carried to us an image which varied from a journey to another as well as from a traveler to another. These images are not the same, due to travellers' different religious, intellectual, and political beliefs. In addition, travelers' reasons for doing this are various, too. Therefore, these travels have always been a rich area of imagological studies concerned with exploring the Other in literature together with identifying the bases on which the concept of the Other's different nature depends. This study, in particular, seeks to analyse the Other's image (ethnolog) in The Japanese Journey, and to mention the foundations on which the traveler has relied while drawing the image of the Other.

توطئة:

الرحلة قديمة قدم الإنسان نفسه؛ فالسفر والارتحال من مكان إلى مكان حلم بشري، مهما تعددت أسباب الاستقرار ودواعي الثبات والبقاء. فالإنسان إما راغب في كشف قناع المجهول لإرضاء نفسه المتطلعة إلى معرفة كل ما هو جديد، أو طالب علم مهموم بتحصيل المعرفة، أو ساعٍ إلى أداء عبادة أو نشر دين، أو طامع في جمع مال، أو متطلع إلى جمال مفقود وسلام منشود، أو باحث عن عزلة هربًا من ضغوط الحياة ومخاطر وهمية أو حقيقية، أو آمل في شفاء، أو مكلف بعمل يستلزم السفر والانتقال من مكان إلى مكان، أو مجبر على الرحيل، لذا جعل البعض حياة الإنسان رحلة " لا تتوقف إلا على تخوم الأبدية"(١).

لكن ليس كل المرتحلين رحّالة؛ فلكي يكون المسافر رحّالة لابد أن يحوِّل حركته إلى نص تسجيلي إخباري، ينقل فيه مشاهداته وآراءه عن الشعوب والحضارات التي عاينها بنفسه أو سمع عنها من الآخرين،" فالملايين ارتحلوا دون أن يتحولوا إلى رحّالين بحكم اكتفائهم بحركة الجسد دون أن يتحولوا إلى نصوص، إلى حكاية للسفر"(٢)، ويجب أن يبرز في هذا النص القصدية، و"المزج بين التسجيل والشعور الخاص تجاه المسجل"(٣)، حتى لا يتحول النص "إلى دليل Guide مفرغ من كل إحساس"(٤)

بسبب طبيعة النص الرحلي الذي تتجاور فيه الحقائق والأساطير، والحكم والأمثال، والشعبي والفصيح، والقصة والقصيدة، والعجيب والغريب، والذي قد يكون _ كما يقول بول هازار_:" كتابًا ناشفًا مليئًا بالعالم، يسكب فيه كل شيء: التوسعات العلمية، وفهارس المتاحف، وحكايات الغرام، أو دراسة نفسية، أو بكل بساطة قصة حب، أو كل ذلك معًا "(٥)، وبسبب الاختلاف حول عناصر أدبيته*، وحدوده، تعددت تعريفاته نصًا أدبيًا.

فعلى حين يراه معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب " مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها إلى ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"(٦)، ويراها معجم

السرديات "قصة رحلة حقيقية فعلية قام بها مؤلفها ودون أحداثها أثناء السفر أو بعد العودة، وهي أدب ينشأ من تزاوج بين رحلة تنفتح على غير المألوف من الأشياء والأمكنة والبشر وموهبة أدبية متطلعة إلى المغامرة والاكتشاف والتلذذ بالغريب والنادر والتعبير عنه حتى تغدو التجربة الفردية عبر الكتابة تجربة جماعية، يشترك فيها مع المؤلف قارئ حقيقي أو مفترض"(٧)، يراه شعيب حليفي _ موسعًا دائرته _ " فن ينتسب إلى التراث النثري بشكل عام، باعتباره سردًا ووصفًا يعمدان إلى صياغة مشاهد رؤيوية، أو مروية، أو حلمية، تنحدر من ذاكرة _ في بعض الحالات _ ذات جذور في الواقع المادي"(٨)، وعلى الدرب نفسه سار عبد الرحيم مودن الذي ينظر إليه على أنه " سفر واقعي أو متخيل يسمح بالسفر عبر المكان والأجناس والأنساق والكلمات حوارًا وتحويلًا وتفسيرًا"(٩)، وواضح من التعريفين رحابة المادة التي أدخل إليها السفر الخيالي. وهو ما نطمئن إليه لتعريف الرحلة نصًا أدبيًا*.

تسعى هذه الدراسة إلى قراءة صورة الآخر في الرحلة اليابانية، من خلال انطباعات ومشاهدات الجرجاوي، وتحديد المرتكزات الأساسية التي ارتكز عليها الرحالة في أثناء رسمه لصورة الآخر، وأثر هذه المرتكزات في تشكيل ملامح الصورة، بالإضافة إلى الوقوف على وظيفة الآخر في النص الرحلي.

تتكون الدراسة من تمهيد، يتم فيه التعريف بالرحلة اليابانية، وبمصطلحي الصورولوجيا، والآخر، وثلاثة مباحث: الأول أنماط صورة الآخر، تقف فيه الدراسة على صورة الآخر الذات (الآخر المشابه العربي - الآخر المشابه المسلم)، والآخر المغاير (الآخر الغربي - الآخر الشرقي)، وعلى المرتكزات التي ارتكز عليها الرحالة في رسمه لصورة الآخر، والثاني الآخر المحتل، تقف فيه الدراسة على صورة الآخر الفرنسي، وصورة الآخر الإنجليزي، والثالث، الذات في الآخر، تقف فيه الدراسة على البعد المقارني وعلاقته بالمسكوت عنه في الرحلة، معتمدة على معطيات المنهجين: الوصفي، والاجتماعي.

وقد انتخبت الدراسة الرحلة اليابانية* للصحفي الإصلاحي على أحمد الجرجاوي _ دون غيرها من الرحلات _ مدونة لها للأسباب الآتية:

_ هي أول رحلة عربية ترسم صورة لليابان في مطلع القرن العشرين.

_ قيمة محتواها، وجودتها الفنية الدالة على وعي صاحبها بأسس كتابة الرحلة الأدبية.

_ سمو هدفها، الذي يستوجب منا إلقاء الضوء عليها.

_ لم تحظ بدراسة مستقلة تكشف جمالياتها، وتميط عن محتواها اللثام.

سُبقت هذه الدراسة بدراسات ومقالات عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: (أدب الرحلة) لـ حسين نصار، و(الرحلات) لـ شوقي ضيف، و(أدب الرحلات) لـ حسين محمد فهيم، و(الرحلة في الأدب العربي.. حتى القرن الرابع الهجري) لـ ناصر عبد الرازق الموافي، و(الرحلة في الأدب العربي.. التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل) لـ شعيب حليفي، و(أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى القرن التاسع الهجري) لـ نوال الشوابكة، و(أدب الرحلة في التراث العربي) لـ فؤاد قنديل، و(أدب الرحلة عند العرب) لـ محمود حسين حسني، و(صورة الآخر في أدب الرحلة الأندلسية) لـ بلال سالم الهروط، و(صورة المكان المقدس في خطاب الرحلة، المدينة في ماء الموائد للعياشي) لـ بسمة عروس، و(استلاب الذات، قراءة في رحلة ابن فضلان) لـ رؤى حسين قداح. وهي دراسات ستفيد منها الدراسة _ لا شك_ وإن لم تهتم بالرحلة اليابانية، ولا بدراسة صورة الآخر فيها.

التمهيد:

١_ مدونة الدراسة:

في عام ١٩٠٦م أعلنت اليابان عن تنظيم مؤتمر للأديان في العاصمة طوكيو، للتعرف على الأديان الشهيرة على ظهر البسيطة، لاختيار أحدها دينًا رسميًا للإمبراطورية التي وجدت معبوداتها لا تناسب تطورها الفكري والحضاري، وأنها تسيئ إلى المواطن الياباني بما تحتويه من متناقضات عقلية.

أرسل الإمبراطور(متسوهيتو) رسائله إلى الدول والممالك الكبرى يدعوهم للمشاركة في المؤتمر، وتناقلت الصحف السيارة أخبار هذه الدعوات، وكتبت عن أهداف المؤتمر، وما تسعى إليه أمة اليابان من وراء انعقاده على أراضيها، فانتشرت أخباره في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من ضمن العارفين به الشيخ علي الجرجاوي، الذي نشر أخباره على

صفحات جريدته (الإرشاد)، وراح يحض الدولة ممثلة في الأزهر الشريف "على تأليف وفد من أفاضل العلماء المصريين، للاشتراك مع الوفود الأخرى لحضور جلسات هذا المؤتمر، ونشر التعاليم الديانة الإسلامية بين أمة الشمس المشرقة"[١٠] ، لكنه لم يجد " في الهمم انبعاثًا ولا في العزائم نشاطًا"[١١]، فقرر السفر إلى اليابان آملًا نشر دين الله القويم، وأعلن ذلك على صفحات جريدته (الإرشاد)، عسى أن يجد رفيقًا له، " فكان ذلك أندر من الكبريت الأحمر"[١٢]، لكنه لم يكن مستحيلًا؛ فخاطبه عالمان من أفاضل العلماء" أحدهما صاحب الفضيلة العلامة الشيخ أحمد موسى المصري المنوفي، إمام المسجد الكبير بـ" كلكته" عاصمة الهند*، وثانيهما من أفاضل المملكة التونسية"[١٣] معلنين عن رغبتهما في مرافقته لهذا الغرض الشريف.

في الثلاثين من شهر يونية، عام ١٩٠٦م ركب الجرجاوي القطار من القاهرة إلى الإسكندرية، ومن مينائها ركب سفينة إيطالية متجهة إلى صقلية، ومنها إلى تونس، التي خطط أن يركب منها سفينة تقله إلى اليابان عبر طريق رأس الرجاء الصالح، لكنه عدل عن خطته وقرر السفر عن طريق مرسيليا، ومنها عبر القطار إلى اليابان، لكنه عدل عن ذلك _ أيضًا_ لطول الطريق وحجم التكلفة، فعاد إلى السويس، ومنها ركب البحر إلى ينبع، ثم جدة، ثم عدن، ثم مومباي، ثم كولومبو، ثم سنغافورة، ثم هونج كونج، ثم يوكوهاما، ثم طوكيو.

رافق الجرجاوي في رحلته إلى طوكيو أحد علماء تونس _ لم يرد ذكر اسمه في الرحلة _ وفي هونج كونج انضم إليهما السيد سليمان الصيني، وفي يوكوهاما انضم إليهم الحاج مخلص محمود الروسي، وفي طوكيو انضم إلى الوفد السيد حسين عبد المنعم، أحد فضلاء مسلمي الهند.

حرص الجرجاوي في أثناء تسجيل رحلته على تقديم نبذة تاريخية عن المدن التي مر بها، والوقوف على أهم ما ارتبط بها من أحداث، بداية من القاهرة، ونهاية بطوكيو، بالإضافة إلى وصف المهم من مبانيها، وطرقها، والمؤسسات التعليمية والصحفية فيها، وحال المسلمين في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وكتب عن بعض أعلام المدن التي مر بها،

معرّفًا بهم ومترجمًا لحياتهم، مثل: أحمد باشا المنشاوي، أمير الغربية بمصر، والأمير محمد باشا الناصر باي تونس، والشيخ أحمد موسى المنوفي، وناقش في أثناء إبحاره بين المدن قضايا سياسية ارتبطت بنظام الحكم في مصر، والانتماء للدولة العلية/ العثمانية، والموقف من سياسة المحتل الفرنسي والإنجليزي، وأحوال المسلمين قديمًا وحديثًا، ووقف طويلًا أمام بعثات التنصير، وجهد رجالها في نشر المسيحية.

ختم الجرجاوي رحلته بكلمات وجهها إلى الخديوي، عباس حلمي الثاني حاكم مصر في ذلك الوقت، وإلى علماء الأزهر، وإلى أغنياء مصر، وإلى أقرانه من الأدباء، طلب إلى الخديوي بصفته أكبر أمير بين أمراء المسلمين بعد السلطان العثماني أن يخصص جزءًا من ماله لنشر دين الله في بلاد اليابان، ولام علماء الأزهر لضعف مساعيهم لنشر هذا الدين، وقارن بينهم وبين المبشرين، وسألهم عن سبب عدم تأليفهم لجنة تذهب إلى بلاد اليابان أو الصين للدعوة إلى الإسلام، وخاطب الأغنياء المتقاعسين عن العمل الصالح، المشغولين بملذات الدنيا ونعيمها الزائل أن يخصصوا جزءًا من مالهم للإنفاق على بعثات دينية تسافر إلى نشر الإسلام في اليابان، وخاطب الأدباء موضحًا لهم سبب عدم اهتمامه باللفظ الغريب والتأنق في الأساليب، مسايرًا ما كان شائعًا في زمانه قائلًا: " في المواطن التي يعرض فيها الكلام على الخواص والعوام فلا حاجة فيها لتلخيص المعاني وزخرفة المباني، وهذه قاعدة سنها القدماء من الأدباء."[١٤]

٢_ مفهوم الصورولوجيا:

الصورولوجيا imagologe في أبسط معانيها "دراسة صورة الأجنبي في أثر أو أدب ما"[١٥]. وهي تعد " اتصالًا ثقافيًا مفتوحًا أو تنافذًا بين الشعوب"[١٦]. وهو مصطلح عرفته الساحة النقدية مقترنًا بالأدب المقارن في القرن العشرين، في الدراسة التي نشرها فرانسوا غويار عام ١٩٥١م في كتابه الصغير الأجنبي مثلما نراه"[١٧]، لكن إرهاصاته تعود إلى القرن التاسع عشر، بعد ظهور كتاب (ألمانيا) لـ مدام دي ستال، عام ١٨١٣م، ذلك الكتاب الذي " سعت فيه إلى تصحيح ما في أذهان الفرنسيين من صور مشوهة عن الألمان وبلادهم وثقافتهم"[١٨].

تتداخل الدراسات الصورولوجية _ في الكثير _ مع الدراسات والبحوث الاجتماعية، والأنثروبولوجية، والسوسيولوجية، والإثنولوجية، والتاريخية، ومع دراسات مؤرخي "العقليات والحساسيات الذين يطرحون مسائل حول ثقافات أخرى، والغيرية، والهوية، والمثاقفة، والتنافر الثقافي، والاستلاب الثقافي، والرأي العام، أو الخيال الاجتماعي"[١٩] وهذا التداخل هو ما جعل (باجو) يسمها بالصورولوجيا الأدبية، تمييزًا لها عن هذه الدراسات، ولانتشالها " من علائقية علوم أخرى مجاورة، قد تنأى بها عن الأدب"[٢٠].

لكن تسميتها بالصورولوجيا الأدبية لا يعني تشابهها مع الصورة الشعرية والصورة السردية؛ فهي في محكيات الرحلة والكتابات القومية يتم التعامل معها من زاوية المقارنة وليس من زاوية الجمال، حسب (باجو) الذي يقول: " كل صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلًا (بالأنا) بالمقارنة مع الآخر، و(بهنا) بالمقارنة مع مكان آخر. الصورة هي إذن تعبير أدبي أو غير أدبي، عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي"[٢١].

ربط الباحثون والنقاد ظهور الصورولوجيا بظهور "محكيات الرحلة "[٢٢]، " وانبثاق الوعي الوطني، الذي أخذ في تأويل معنى الآخر(الأجنبي)"[٢٣]، وأنتج ما يعرف بالأدب القومي المبرز للأنا في مواجهتها مع الآخر، وهو ربط منطقي؛ فالنص الرحلي نص اكتشافي، من خلاله يكتشف الرحالة عوالم جديدة، وتكتشف الأنا المتلقية موقعها، ودرجة تمدنها، والأدب القومي بما يكمن فيه من إحساس عالٍ بالأنا، مادة خصبة للدراسات الساعية لتأكيد حضور الأنا في مواجهة الآخر.

٣_ مفهوم الآخر:

تجمع المعطيات المعجمية على أن لفظة (آخر) بمعنى أحد شيئين يكونان من جنس واحد، وبمعنى غير، يقول صاحب لسان العرب:" الآخر بالفتح أحد الشيئين...والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر، وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفًا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها"[٢٤]، ولفظ غير في علم النفس " مقابل للفظ أنا، فكل ما كان موجودًا خارج الذات المدركة أو مستقلًا عنها كان غيرها"[٢٥]، ويعني هذا أن الوعي بالأنا، هو إدراك للآخر، وأن الأنا لا وجود لها إلا

بوجود الآخر، والآخر لا حضور له إلا بحضور الأنا؛ فالمرء "لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر"(٢٦).

وفي الاصطلاح تعني اللفظة " الكائن المختلف عن الذات"(٢٧)، الذي يحتل " مساحة وجود لا يمكن للأنا أن تتمدد في فضائها"(٢٨)، ويجمع الباحثون على أن الاختلاف يكون في الجنس، والدين، والعرق، والفكر، واللون، والغنى، والفقر، وزاد بعضهم اللغة، جاعلًا الآخر" من ليس له لا الأجداد أنفسهم، ولا الآلهة نفسها، ولا حتى اللغة نفسها التي لنا"(٢٩).

تعدد أسباب الاختلاف جعل نظرة الأنا للآخر، والآخر للأنا نظرة متغيرة، يتحكم فيها الموقع الحضاري للأنا، وثقافتها، ودينها، وقوتها، وضعفها، وغناها، وفقرها، وإحساسها بقيمتها ومكانتها وقدراتها، لكنها في الغالب نظرة سلبية، فالأنا المتضخمة ترى ما سواها من الآخرين عبيدًا* خلقوا لخدمتها، والأنا المتصاغرة في نفسها ترى الآخر متجبرًا ظالمًا، خلق لاستعبادها وظلمها، ولعل قول (جارسان) بطل مسرحية الأبواب المقفلة لـ جان بول سارتر: الجحيم هو الآخرون (٣٠)، يلخص نظرة الأنا للآخر، والآخر للأنا.

تعد نصوص الرحلة من أفضل النصوص لرسم صورة للآخر؛ فهي "فن الإخبار عن الآخر باعتباره صورة تتجرد في بعدها التاريخي والواقعي لتتحول إلى تشكيل معرفي"(31)، لكنها ليست بالضرورة صورة حقيقية، فقد يعتريها التزييف، ويغلفها الكذب؛ لأن سلوك الرحالة تجاه الآخر يتأثر بثقافته، وانتمائه المذهبي، وهدفه من وراء الارتحال، وبطريقة إدراكه وكيفية تعامله " مع المكون الثقافي والاجتماعي لهذا الآخر، حيث ينبثق من هذا الإدراك والتعامل تفاعل متبادل بين الأنا الفردية أو الجماعية والآخر، تتفاوت درجة إيجابية هذا التفاعل وسلبيته بتباين هذا الإدراك"(٣٢).

الآخر ليس الأشخاص بأبعادهم الجسدية والشكلية، وعاداتهم وتقاليدهم، ومظاهر حياتهم اليومية كما يراهم الرحالة؛ فالآخر فضاء مكتظ بأشخاص، وأبنية، وساحات، وثقافات، وعادات، وتقاليد يختلف عن فضاء الأنا.

١- أنماط صورة الآخر:

- الآخر المشابه:

نقصد بالآخر المشابه، الآخر المشترك مع الأنا في العرق والدين واللغة، أو في أحدها، والمختلف عنها جغرافيًا. وهو الشعوب العربية والمسلمة كلها، وقد عددناه آخر بسبب الأثر الكبير للمكان في تشكيل صورة الذات ووعيها، وانعكاس مكوناته على رؤيتها للواقع والوجود، وعلى سلوكها وتصرفاتها وموقفها من الآخرين وعلاقتها بهم.

- الآخر العربي:

شغل الآخر التونسي مساحة كبيرة من رحلة الجرجاوي، فوقف على سمات الشخصية التونسية، وقدم وصفًا للمرأة التونسية المسلمة، والمرأة التونسية اليهودية، وقدم صورة لحال التعليم والصحافة في تونس، ووقف على موقف التونسيين من الخليفة الأعظم / العثماني، وعرج على المشهد الديني من خلال وصفه للأذان وخطبة الجمعة.

لم يخض الجرجاوي في الحديث عن البعد المادي المعنيّ بوصف الطبيعة الجسدية والمظاهر الشكلية للتونسيين، وبدأ حديثه بذكر مناقبهم، فهم يتحلون بالوداعة " وكرم الأخلاق وعدم الميل إلى الملاذ والملاهي، بخلاف غيرهم من أهل البلاد الإسلامية الذين اختلطوا بالأوربيين وقلدوهم في مظاهر المدنية الغربية"[٣٣]، ويتمسكون بتعاليم الدين الحنيف " فلا يتظاهرون بالفجور والفسق ولا ينتهكون حرمات الدين."[٣٤]، في أخلاقهم حدة سببها شدة الصلاح؛ " لأن المعروف في أهل الفضل والتقى والدين التسرع في الغيظ إذا رأوا أمرًا مخالفًا لآداب الدين"[٣٥]، وتربطهم بالخلافة الإسلامية عرى قلبية وثيقة، فلا يكتفون بالدعاء للخليفة الأعظم/ العثماني" في يوم الجمعة على المنبر، بل يدعون له في آخر كل صلاة دعاء مؤثرًا يجري العبرات من العيون"[٣٦]، كما أنهم أهل كرم، لا يعرفون البخل " وهذا ينفي ما هو شائع لدى العامة عن بخل أهل المغرب، قد يجوز وجود البخل في بعض بلاد المغرب الأقصى، ولكن في غير أهل تونس"[٣٧].

وفرّق الجرجاوي بين المسلمات واليهوديات من نساء تونس، بتركيزه على طبيعة زي المرأة المسلمة، واختلافه عن زي اليهودية، وجعل زي المرأة المسلمة عنوانًا على العفة والطهارة وإشارة إلى الحشمة والعفاف." أما نساؤهم المسلمات فإنهن على جانب عظيم من العفة والصون حتى إن إحداهن من السوقة تمر في الطريق فلا يرى الناظر إليها عضوًا من أعضائها مكشوفًا... أما النساء اليهوديات فإنهن بخلاف ذلك إذ يمشين في الطرقات مكشوفات الرأس بلا خمار سوى منديل رقيق تعصب به الرأس، وملابسهن عبارة عن سروال (لباس) يصل إلى العقب وقميص قصير وسدرية ووشاح يلقينه على الكتفين."(٣٨).

وعرج إلى المشهد الديني في المجتمع التونسي، من خلال نقله لطريقة الأذان في تونس، وهي _ بالتأكيد _ طريقة مختلفة عما هو شائع في البلدان العربية والإسلامية، وبخاصة مصر، وإلا ما جذبت انتباه الجرجاوي الذي يقول: "وليس للمساجد هناك مآذن كما في مصر وغيرها من بلاد الإسلام، بل يوجد بجوار المسجد مكان مدوّر البناء يصعد إليه بدرج، وفيه أربع نوافذ وفي كل نافذة إفريز يقف عليه المؤذنون في أوقات الصلاة، ولا يؤذن واحد بل جماعة يتراوح عددهم بين الخمسة والستة أشخاص، ووقت الأذان هناك لا يعرف بالساعة، بل يوجد بجوار دار الوزارة ساعة رملية تعرف بها الأوقات، فإذا علق في المكان الذي فيه الساعة الرملية علم يكون علامة على حلول الوقت، وذلك نهارًا، أما إذا جاء الليل فإنهم يعلقون نبراسًا، وبعد الأذان ينزلون العلم أو النبراس."(٣٩)، وكذلك من خلال تركيزه على خطبة الجمعة التقليدية، والبعيدة عن واقع الحياة اليومية." إذ كلها مما هو مذكور في دواوين الخطب، ومسموع في كل جمعة."(٤٠)، ومن خلال مشهد الفُرقة يوم الجمعة، بسبب اختلاف مواقيت الصلاة، " وقد شاهدت القوم هناك في يوم الجمعة، فريقًا يصلون الجمعة في الوقت الذي يصلي فيه أهل مصر والبلاد الإسلامية الأخرى، وفريقًا يصلون قبل العصر بنحو نصف ساعة"(٤١).

لخص الجرجاوي المشهد الديني اليومي بالمجتمع التونسي في الأذان وصلاة وخطبة الجمعة، وهو _ رحالةً _محق في ذلك لسببين: الأول، كون الأذان وخطبة الجمعة مظهرين بارزين للمشهد الديني في المجتمعات المسلمة، وإدراك ماهيتهما للمرتحل أمر يسير، خلاف التفصيلات الدينية الدقيقة المحتاجة إلى طول إقامة وتغلغل في مفاصل المجتمعات، لإدراك ماهيتها، والثاني، المُدرك سمعًا ورؤية لا يحتاج إلى الكثير من التحليل، وهو مناسب لطبيعة السرد الرحلي.

كما وقف الجرجاوي أمام المشهد الديني، وقف _ أيضًا _أمام المشهد التعليمي، وساءه حال التعليم في جامع الزيتونة، وهو المدرسة الإسلامية الوحيدة التي يتلقى فيها مسلمو تونس العلوم الشرعية. يقول: " كنت أظن أن هذا الجامع كالأزهر في مصر من حيث كثرة الطلاب واتساع المكان، فلما قدمت إلى تونس وزرت هذا الجامع وجدته في اتساعه لا يزيد عن المسجد الحسيني، والطلبة فيه قليلون لا يزيدون على الخمسمائة طالب، والمدرسون فيه ستة عشر عالمًا، وهم مع قلتهم متفرقون في زوايا المسجد، غير منتظمي الهيئة من جهة المطالعة أو الحضور في الدروس."[٤٢]، كما ساءه حال المدرسة الخلدونية التي أسسها السيد محمد البشير صفر، رئيس جمعية الأوقاف؛ فقد كانت حالة التعليم فيها " غير كافية لأن يتخرج منها الناشئة الذين يؤدون للبلاد الخدمة المطلوبة من ابن الوطن لوطنه"[٤٣]، وكذلك حال الكتاتيب (كانت في ذلك الوقت المدارس الأولية المؤهلة للالتحاق بالمدارس العليا)، الذي لم يكن أفضل من حال المدارس العليا، فقد كانت مع قلتها" لا تجدي نفعًا إذ هي ككتاتيب الأرياف في مصر قبل النهضة التي نهضها المصريون"[٤٤]، والسبب في ذلك الاستعمار الفرنسي الذي اشترط لتأسيس الكتاتيب إدخال اللغة الفرنسية ضمن العلوم التي تدرس فيها، في محاولة لفرض سطوته الثقافية وتذويت المجتمع التونسي.

ووقف أمام الصحافة التونسية التي لم يكن حالها بأفضل من حال التعليم، وهو أمر طبيعي؛ فالصحافة ترقى برقي التعليم، وبمساحة الحرية المتاحة للصحافيين، والأمران _ التعليم والحرية _ كانا شبه منعدمين في تونس المعانية من نير الاحتلال الفرنسي، فلم يكن

في تونس صحف يومية عربية " غير جريدة واحدة اسمها الرشدية، صاحبها حضرة الفاضل السيد حسين عثمان، تطبع بحروف غير واضحة لا تقرأ إلا بكل صعوبة."(٤٥).

لاكتمال صورة الآخر حدد الجرجاوي ملامح البيئة التي يتحرك فيها التونسي، وهي بيئة ذات أبعاد جمالية وحضارية، مفرداتها (حدائق غناء، وبحر، وقصور، وطرقات مفروشة بالبلاط، وشوارع نظيفة مرشوشة، وأشجار، وخط ترام، وأسواق). يقول:" يرى القادم إلى تونس من جهة البحر مناظر القصور والحدائق الغناء مما يحبس على العين لفتاتها، فإذا جال في المدينة وجد الطرقات منظمة قد فرشت بالبلاط، والأشجار تتخللها، لاسيما في شارع باب البحر... ويوجد بتونس خطوط الترام وهي أشبه بخطوط ترام الإسكندرية، وأسواق التجارة الوطنية كالغورية والحمزاوي بمصر.. وبالجملة فإن حاضرة تونس تعد في مقدمة مدن المغرب حضارة ومدنية"(٤٦).

الملاحظ على صورة الآخر التونسي، اهتمام الجرجاوي بالأبعاد المعنوية الكامنة في شخصية التونسي، والاكتفاء من البعد المادي بذكر تفاصيل ملابس النساء، والتركيز على حالة التعليم والصحافة، وطبيعة البيئة، ودرجة التدين، والموقف من الخلافة الإسلامية، واختفاء الحديث عن الجانب الاجتماعي المعني بمظاهر الحياة اليومية، وعادات وتقاليد الآخر، والجانب الاقتصادي المعني بنشاط الآخر وحالته المادية، والربط بين مكونات الصورة، فتدهور الصحافة في تونس بسبب تردي حال التعليم، والتشوش الديني (وقت الجمعة، وطبيعة الخطبة)، سببه حالة الركود المسيطرة على التدريس في جامع الزيتونة.

وهي صورة تحدد من بداية الرحلة _ ودون تصريح من الجرجاوي _المرتكزات التي سيعتمد عليها الرحالة في رسمه لصورة الآخر المشابه، وهي البعد المعنوي لشخصية الآخر، وحالة التعليم والصحافة في فضائه، ودرجة التدين، والموقف من الخلافة العثمانية.

وهي مرتكزات _ كما هو واضح _ تخلو من حضور البعدين الإثنوجرافي "المعني بدراسة أسلوب الحياة، والعادات والتقاليد، والفنون، والمأثورات الشعبية، وكذلك البعد الإثنولوجي المعني بتحليل المادة الإثنوجرافية من أجل " الوصول إلى تصورات نظرية، أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية، من حيث أصولها وتنوعها"(٤٧)،

ولعل سبب ذلك الطبيعة الدينية للرحلة المعنية في الأساس بتقديم الإسلام للآخر الياباني، وقصر المدة التي قضاها الجرجاوي في تونس.

لم تجتمع هذه المرتكزات في المدن التي زارها، أو توقفت بها سفينة رحلته كافة، فجاءت صوره مركزة على البيئة، كما في وصفه للآخر في مدينتي (ينبع وعدن)، وعلى البيئة وسمات محدودة للشخصية، كما في وصفه للآخر في مدينة (جدة)، وعلى البيئة ونظامي التعليم والحكم كما في وصفه للآخر في مدينة (بروم)، لكنها صور معبرة وموحية بطبيعة شخصية الآخر، خاصة إذا ربط المتلقي بين مكونات المكان والشخصية كمنتج بيئي.

يقول عن مدينة (ينبع): "هذه المدينة ليست كبيرة من حيث عدد السكان، وليس بها من التنظيم ما لسواها من المدن التي على سواحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، بل هي ضيقة الشوارع، تتراكم في جنوبها الأقذار والأتربة، وماؤها آسن غير صالح للشرب، مجلب للأمراض لونه أزرق، يجلب من المستنقعات الرديئة الرائحة، ومن العجب أن أهل هذه المدينة يشربون من ماء المستنقعات من غير مبالاة... وبهذه المدينة نوع من البعوض لسعه يقرب من لسع الزنابير."[٤٨].

من مفردات صورة المكان (ضيقة الشوارع، والأقذار والأتربة، والماء الآسن، والأمراض، والمستنقعات، رديئة الرائحة، والبعوض)، والإشارة (أهل هذه المدينة يشربون من ماء المستنقعات من غير مبالاة)، يستطيع القارئ استحضار صورة للآخر العربي في (ينبع)، أو استحضار أقرب مثال لها على أقل تقدير، فهو بعيد عن المدنية والتحضر بمسافات ليست قليلة، وطبيعة المكان توحي بانعدام التعليم ووسائله.

ويقول عن مدينة (عدن): "حيثما حللت فيها تجد العمارات التي بنيت على الطراز الأوربي، وشوارعها متسعة منظمة معتنى بنظافتها، وناهيك باعتناء أبناء التاميز* إذا دخلوا بلدًا ووضعوها تحت حمايتهم أو أدخلوها في ممتلكاتهم... وبهذه البلدة حدائق كثيرة تتخلل شوارعها، وبذلك يعلم أن الصحة فيها متوفرة وبجوار البحر ساحة كبرى قد غرست بها الأشجار وبجوارها دار للتمثيل خاص بالإنكليز دون سواهم."[٤٩].

مفردات صورة عدن (قصور، وشوارع متسعة، ونظافة، وحدائق، ودار تمثيل)، تشير إلى أن الآخر العدني بلغ درجة من الرقي، لم يبلغها غيره من بني جنسه، حقيقة لم يخض الرحالة في تفاصيل هذا الرقي، لكن موقفه _ في رحلته _من الإنجليز ورأيه في نظرتهم للآخر، يسمح للقارئ بتخيل هذه الصورة، من خلال معطيات وردت في أثناء الحديث عن موقف الإنجليز من المصريين، ومن خلال المقارنة التي عقدها بين الإنجليز والفرنسين، في أثناء حديثه عن تونس.

ويقول عن (جدة): " بهذه المدينة تجار من الأوروبيين والهنود لهم حوانيت كثيرة مما جعل لها أهمية تجارية أكثر من ينبع، وشوارعها متسعة لطيفة... ومنازل (كبرائها) تبنى من الحجر الصخري، وأهم شوارعها من حيث رونق البناء هو الشارع الممتد من البحر، فالشارع المسمى باسم أمنا حواء وفيه قبرها وهو ذو ثلاث قباب... وأكبر مساجدها مسجد الأبنوس "[٥٠]، ويقول عن أهلها: "أهل كرم وسخاء، خصوصًا مع الغريب عنهم البعيد منهم "[٥١]، لكن نصيبهم من العلوم محدود؛ "لأن الذين يعرفون القراءة والكتابة منهم قليلون جدًا"[٥٢].

ويقول عن مدينة (بروم)*: أهلها" يأكلون الذرة وهو حب لم يطحن ولم يخبز، فعلمت أن المعيشة فيها معيشة الشظف"[٥٣]، ويقول عن التعليم فيها: "لا يوجد بهذه البلدة من معاهد العلم إلا قليل من الكتاتيب التي هي أحط من كتاتيب أرياف مصر"[٥٤]، وعن نظام الحكم بها،" أما حكومتهم وسياسة أحوالهم الاجتماعية وقضاياهم بأنواعها فموكول أمرها إلى مشايخ منهم، وهم الحكام الفاصلون في القضايا بين الأهالي...والحال أنهم في نهاية الجهل أميون يحكمون بما توحيه إليهم إرادتهم وأغراضهم، والاستبداد موجود في بلادهم بمعناه الحقيقي"[٥٥].

لم يكتف الجرجاوي بصورة المكان في أثناء رسمه لصورة مدينتي (جدة، وبروم)، كما فعل في أثناء تصويره لمدينتي (ينبع وعدن)، وعرج إلى سمات معنوية تحلت بها شخصية الآخر العربي في المدينتين، وإلى مستوى التعليم فيهما، وهي سنته الأساس في رحلته كلها، لكنها سنة محكومة _ كما سبق وقلنا _ بمدة إقامته في المدن التي زارها.

صورة الآخر العربي كما رسمها الجرجاوي في مجملها صورة طافحة بمعاني سلبية، فلا دور له في ركب الحضارة العالمية، وجهوده المبذولة لا توحي بدور مستقبلي، وسوف تبرز ملامح هذه السلبية أكثر بعد الوقوف على صورة الآخر المغاير، الساعي إلى امتلاك أسباب التقدم ومفاتيح التحضر.

▪ الآخر المسلم:

صورة الآخر المسلم في الرحلة اليابانية لا تختلف كثيرًا عن صورة الآخر العربي، فقد جاء المسلمون أهل سلام، متعايشين مع أهل الأديان الأخرى، وذائبين في بوتقة مجتمعاتهم، ذوبانًا لا يمحو هويتهم، إلا أنهم أهل بدع، يؤمنون بعقائد الآخرين الفاسدة، ويعدونها جزءًا من عقيدتهم.

▪ المسلم الصيني:

المسلمون في الصين جزء من صميم المجتمع الصيني، لا فروق شكلية بينهم وبين غير المسلمين، يميزهم عن أهل الأديان الأخرى البعد عن إثارة القلاقل، والترابط، والاتحاد. يقول الجرجاوي عنهم: " ليس لهم شعار مخصوص يميزهم عن باقي الأهالي من أهل الأديان الأخرى كالبوذيين والبراهمة، فلا تكاد تعرف الواحد منهم حتى يعرّفك هو بنفسه أنه مسلم أو مسيحي أو بوذي، وهم متحدون في الكلمة، يحب بعضهم بعضًا، ويسعون في المنافع المتبادلة بينهم، كما أنهم يد واحدة في كل ما يهمهم من أمور الدنيا والدين، وهم أبعد أهل الصين عن الفتن والقلاقل المخلة بالأمن العام"[٥٦].

يعتدّون بدينهم وينظرون لأنفسهم على أنهم " أشرف أهل الصين، ويفخرون بأنهم من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والتوحيد، ولذلك لا تجد أحدًا منهم يأمن في المعاملة والمعاشرة إلا لأبناء دينه، ولا يخالط أحدًا من أهل الأديان الأخرى إلا المسيحي الكاثوليكي"[٥٧]، ويعتزون بشعائر الإسلام أيما اعتزاز، فيحتفون بشهر رمضان وبالعيدين احتفاءً عظيمًا، ولا "يدعون مظهرًا من مظاهر الفرح والسرور إلا فعلوه، إذا جاء وقت هذين الموسمين الدينيين"[٥٨].

وهم أهل صناعة، " وصناعتهم هي أحسن ما تفخر به الصين قديمًا وحديثًا، ويحمل منها إلى سائر أنحاء الكرة الأرضية، وأشهرها هي مصنوعات الصوف والحرير"(٥٩)، ولا يميلون للوظائف الحكومية " وهذه فضيلة من الفضائل التي يغبطون عليها"(٦٠).

لكنهم مع هذا التميز أهل بدع" وذلك أن أحدهم إذا ارتقى إلى منصب من مناصب الحكومة، مع عدم ميلهم إلى ذلك، يذهب إلى معبود هناك يتقرب إليه البوذيون، ويتقرب إليه كما يفعل هؤلاء، ولا أدري ما هو السبب الحامل لهم على التقرب سوى أنه يكون واسطة في إعطائهم المعونة على القيام بالوظيفة خير قيام، وهذا المعبود يسمى عندهم كونفوشيوس"(٦١).

▪ المسلم السنغافوري:

يختلف المسلم السنغافوري عن المسلم الصيني في اهتمامه بأمور دينه، وتركه أمور دنياه، وأسباب النهضة والتطور. يقول الجرجاوي عنه:" المسلمون أمرهم عجيب؛ متمسكون بآداب الدين من جهة العبادة فقط، ولكن الشؤون الأخرى التي عليها قوام حياة الأمم والشعوب لا همم عندهم ولا غيرة تحركهم إلى الأخذ في أسباب النهوض، فلذلك ينظر إليهم الهولانديون نظر الاحتقار، وربما يتجاوزوا في اضطهادهم الحد فينالوا* من كرامة أعراضهم، وفي الإشارة ما يغني عن التصريح"(٦٢).

▪ المسلم الهندي:

لم يهتم الجرجاوي اهتمامًا كبيرًا بالمسلم الهندي، واكتفي بالحديث عن زيّه في أثناء حديثه عن أزياء البنغاليين والماواريين، وعدّ زيّه دليلًا على تحضّره وتمدّنه " أما المسلمون فإنهم يلبسون السراويل والقميص والسدريات الطويلة والعلماء منهم يلبسون الجبة والقرجيات، وبالجملة فإن لباسهم أحسن لباس أهل الهند جميعًا، فقراء كانوا أو أغنياء"(٦٣)، وأشار إشارة خاطفة إلى تميزهم عن غيرهم من أهل الهند بقوله: إن الحكومة (الإنجليزية) تنظر إليهم نظرة الاحترام بخلاف غيرهم"(٦٤).

٢_ الآخر المغاير:

ـ الآخر الأوربي، حضور الفضاء الاصطناعي:

حضر الآخر الأوربي فضاءً في الرحلة اليابانية، وتقلص حضوره شخصية؛ فقد مر الجرجاوي وهو في طريقه إلى تونس بأربع مدن أوروبية، هي: مسينا، ونابلي، وبالرما، وطراباني*. وعلى الرغم من قصر المدة التي قضاها في كل مدينة (لم تتعد العشر ساعات إلا أنه نجح في رسم صورة معبرة لفضاء الآخر الأوروبي، الذي بدا أكثر تحضرًا وأعظم تمدنًا. وهي صورة لم تختلف المفردات المشكلة لها كثيرًا عن المفردات التي شكلت صورة الآخر العربي، والآخر المسلم: فالجرجاوي يقف _ كعادته _ أمام البيئة، وحال التعليم، والوضع الثقافي، وسمات الشخصية المعنوية وأحيانًا الشكلية، ونادرًا ما تجتمع المفردات كلها في صورة واحدة.

يقدم الجرجاوي صورة لمدينة (مسينا) الإيطالية، خالية من سمات أهلها المادية والمعنوية، وكأنها مدينة بلا سكان، لكنها صورة _ من خلال مفرداتها _موحية بتحضر أهلها. يقول: "وهذه المدينة بنيت على نشاز من الأرض أو هضبة مرتفعة، فترى منازلها كدرجات السلم بعضها فوق بعض، وشوارعها ذات انحدار واحد، ولكنها في الجملة منظمة الشوارع مفروشة بالأسفلت، خالية من الأتربة، وعلى جانبها المنازل والفنادق والعمارات الضخمة البناء، وأسواقها حافلة بأنواع البضائع الغريبة، كما أن الفواكه فيها كثيرة جدًا مما يدل على أن هذه المدينة كثيرة البساتين"(٦٥)، وهي مدينة تكثر بها الكنائس، ففيها " نحو الثمانين كنيسة من الكنائس الكبرى المشيدة البنيان المزدانة بأجمل النقوش وأحسن الرسوم"(٦٦)، ولأهلها باع في الصناعة، وتميز في النسج والدباغة: " إذ بها كثير من معامل نسج الحرير ودبغ الجلود مع جودة الصنعة"(٦٧).

وهي مدينة للتعليم فيها حضور كبير: فيها " كلية كبرى، تخرج منه كثير من العلماء في كل الفنون التي تدرس في الكليات، أسست سنة ١٥٤٩ميلادية"(٦٨)، كما أن بها مكتبة ضخمة تضم آلافًا من الكتب " التي لا توجد في أغلب كتبخانات أوربا"(٦٩).

لم تختلف نظرة الجرجاوي لمدينة (بالرما) عن نظرته لمدينة (مسينا)؛ فهو يهتم اهتمامًا كبيرًا بالفضاء المادي، غاضًا الطرف عن الشخصية. يقول: " هي أكبر ميناء في الشمال الغربي من جزيرة صقلية... شاهدتُ فيها ساحة كبرى فرشت بالبلاط ومحاطة بالأشجار، وهذه الساحة تسمى "أبرتوريا"، فراقني منظرها الجميل البديع، ثم ساحة" مرينا" وهي لا تقل عن تلك في الرونق وبهاء المنظر. وأعظم من تلك وهذه ساحة " فتوريا" من حيث الاتساع وإتقان التنظيم... أما الكنائس القديمة والأديرة فكثيرة، حيث يبلغ عدد الكنائس نحو (٢٥٠) والأديرة (٧٠)، وأهم الكنائس الكنيسة الكبرى"[٧٠].

اختلفت صورة مدينة (نابلي) عن صورة مدينتي (مسينا، وبالرما) بحضور الفضاء والشخصية معًا، فيقول عنها:" هذه المدينة هي الرابعة في إيطاليا بعد رومه وبرنديزي وفينسيا البندقية من حيث التجار والمعارف... وهي تبتعد عن مسينا بمقدار (٢٠) ساعة تقريبًا"[٧١]، ويقف أمام أهم شوارعها وهو " شارع" توليدو" أو شارع رومية، طوله بلغ ميلًا ونصفًا، ويمتد من البحر إلى الشوارع العالية، وتتفرع منه شوارع كثيرة، أهمها الشارع الممتد إلى ميدان "كافور"[٧٢]، وأمام بركانها الشهير" وقد شاهدت بركان" ويزوف" وهو يتثاءب دخانًا، وقد قيل لي إن هذه حالته دائمًا، ودخانه أشبه بدخان وابور الطحين"[٧٣].

بجوار البعد المادي للفضاء يقف الجرجاوي على البعد الاجتماعي بتركيزه على مياه الشرب فيها " ويظهر أن مياه الشرب فيها في زمن الصيف تضر بصحتهم لأنهم يشربون الماء ممزوجًا بالليمون"[٧٤]، وعلى الشدة في تنفيذ القانون." ومما لاحظته في نابلي أن الحكام فيها على جانب من الشدة والصرامة، لأني شاهدت البوليس يسوق اثنين مكبلين بالحديد ولم يرتكبا إلا جريمة المخالفة"[٧٥]، وعلى انفتاح أهلها على الآخر، بحديثه عن المدرسة الشرقية المتخصصة في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، ومستوى طلابها، فبعد الحديث عن دعوة تلقاها لزيارة المدرسة يقول:" فطلب مني اختبار التلامذة في اللغة العربية وتاريخ العرب، وهم خليط من الطليان والفرنسويين وغيرهم، فاختبرتهم في فصولهم كلها، فدهشت لنجابتهم وذكائهم وسرعة أجوبتهم، الأمر الذي جعلني أتمنى لو

يكون اهتمام مدارسنا المصرية بلغتنا العربية كاهتمام الإيطاليين بها. وكان التلميذ إذا تكلم بالعربية لا يلحن قط*؛ لأنه تلقى اللغة بحسب القواعد النحوية، فكان يجيد النطق إذا تكلم بجواب عن سؤال أو قرأ في كتاب... ولم يقتصر القوم على تعليم اللغة العربية فقط، بل إنهم يدرسون لهم تفسير القرآن بطريقة عجيبة، حيث يحفظ التلميذ السور الصغيرة وبعض الآيات مع فهم المعاني ومعرفة كم من الآيات في السورة مكية وكم مدنية."(٧٦)، ويلخص حديثه عنها بأنها "بلغت في الحضارة والمدنية مبلغًا عظيمًا"(٧٧).

بجوار الفضاء بشقيه المادي والاجتماعي حضرت الشخصية الإيطالية حضورًا مباشرًا، من خلال وصف الجرجاوي لأهلها الذين" يميلون إلى الراحة والكسل والخمول"(٧٨)، وحضورًا ضمنيًا كامنًا في الحكاية المسترجعة؛ فقد استدعت زيارته لمدينة (نابلي) حكاية المنشاوي باشا الذي " رد يد الثائرين إبان الثورة العُرابية عن المسيحيين واليهود القاطنين في طنطا، وآوى منهم نحو الألفي نسمة إلى سراية بالقرشية، وأمنهم وحملهم إلى بلادهم على نفقته الخصوصية، بعد أن دفن موتاهم وتلطخت ثيابه بدمائهم"(٧٩)، فرد له أهل نابلي الجميل، في أثناء نزوله بها وهو في طريقه من الأستانة إلى فرنسا، فأكرموه ومنحوه النياشين والقلائد الفاخرة. وهي حكاية أظهرت الشخصية الإيطالية كريمة، ودودة، ووفية*.

ختم الجرجاوي حديثه عن الآخر الأوروبي برأيه في الجمال الطبيعي والجمال المصطنع، والجمال الطبيعي المضاف إليه لمسات اصطناعية، الذي "رآه أدعى للصبوة وأجذب للقلوب"(٨٠)، ووقف أمام جمال النساء الإيطاليات. يقول: " الجمال فيها كما هو في العرب طبيعي، ولكنها تزيده بالتنميقات الأخرى في تصفيف الشعر وحسن الأزياء والتفنن في الخلاعة، حتى إنك ترى الفتاة الطليانية تمشي كأنها الغصن يرنحه النسيم، أو السكران لعبت بمشيه الشمول، إذا رنت بمقلتها سلبت العقول، ونهبت الأرواح" (٨١).

الملاحظ على الصور التي رسمها الجرجاوي للبلاد الأوروبية التي زارها، الاهتمام بكل ما هو من عمل الإنسان، فكثر الحديث عن القصور الفخمة، والحدائق المنسقة، والكنائس العتيقة، والمنائر العظيمة، مع إشارات إلى النظم التعليمية والثقافية، ممثلة في المداس،

والكليات، والمكتبات، واختفاء البعدين الإثنوجرافي، والإثنولوجي من الصورة، وهو اختفاء طبيعي؛ فالمدة التي قضاها الجرجاوي في المدن الأوربية التي زارها لم تتعد الأربع وعشرين ساعة؛ فقد قضى جل الوقت داخل السفينة.

ـ الآخر الشرقي*، حضور الإثنوجرافي:

في رسمه لصورة الآخر الشرقي حضر البعد الإثنوجرافي حضورًا ملحوظًا، بسبب حضور الشخصية داخل الصورة، أكثر من حضور الفضاء، في أكثر من موقع، لاسيما في أثناء رسمه لصورة الآخر الياباني، لكن المنهج الذي حدده الجرجاوي لتسجيل مشاهداته ظل مسيطرًا على صوره سيطرةً واضحةً، فهو معني بالفضاء، وموقف الآخر من التعليم، والثقافة، ودرجة رُقيه وتحضُّره، أكثر من اعتنائه بعاداته وتقاليده، التي لم تظهر إلا في أثناء رسمه لصورة الآخر الياباني.

ـ الآخر الياباني:

شغلت صورة الياباني مساحة كبيرة من رحلة الجرجاوي، وهو أمر طبيعي؛ لطول المدة التي قضاها في اليابان. وهي صورة حضرت فيها المرأة اليابانية حضورًا بارزًا، وبرزت فيها عادات وتقاليد الآخر الياباني، وظهر فيها التركيز على طبيعة الحياة اليومية، ومستوى التعليم، والصحافة، ومكانة اليابان السياحية، ودور الفن (تشكيلي، وقصصي، ومسرحي) في غرس القيم بنفوس اليابانيين، وكذلك التركيز على أبعاد نفسية في شخصية الياباني، واختفى البعد المادي للآخر الياباني، فلا وجود للملامح الجسدية، ولا حضور للزي المختلف بطبيعة الحال عن زي الجرجاوي.

ـ الرجل الياباني:

ركز الجرجاوي في رسمه لصورة الرجل الياباني على وطنيته وشجاعته، فوقف كثيرًا أمام التبرعات التي تبرع بها أغنياء اليابان، عندما سمعوا بخبر سعي الحكومة لاقتراض ستين مليونًا لتوفير مستلزمات الحرب مع الروس، وعرض أسماء المتبرعين، والمبالغ التي تبرعوا بها، وطرائق توفيرهم للمال، ووقف أمام شجاعة الجندي الياباني بعرضه لخطابين

كتبهما جنديان أسيران قبل تنفيذ حكم الإعدام فيهما. أحدهما أرسله جندي إلى أبيه يقول فيه: " فاعلم يا أبت، أني اليوم واقف موقف الإعدام أسيرًا لدى الروس وفوهات البنادق مصوبة نحوي، وإني ليسرني كثيرًا أن أموت وأنا قائم بمهمتي التي انتدبني إليها وطني"[٨٢]، والثاني أرسله جندي إلى أبنائه يقول فيه: " فلا يحزنكم موتي بعيدًا عنكم لأن أباكم مات ميتة الفخر والمجد، فافخروا بأبيكم الذي قضي عليه وهو يحامي عن أوطانه واتخذوه قدوة لكم"[٨٣].

ـ المرأة اليابانية:

في الصورة التي رسمها الجرجاوي للمرأة اليابانية يظهر اهتمام المجتمع الياباني بتعليم المرأة، فلا تصل الفتاة اليابانية إلى سن الخامسة "حتى يدخلها ولي أمرها المدرسة ومهما كان فقيرًا ذا خصاصة في العيش فإنه يكد ويكدح في سبيل الانفاق عليها، ويقدم الاهتمام بها على كل أمر يهمه في الحياة حتى بلغت بهم درجة الاعتناء بتربية البنات إلى أن يعد من لا يدخل ابنته المدرسة من أحط الناس منزلة وأسفههم عقلًا، ويصمونه بوصمة العار"[٨٤].

وبسبب هذه الرعاية العلمية، أصبحت المرأة" عنوان الكمال والفضيلة وحسن الآداب"[٨٥]، همها الأساس خدمة وطنها، ورعاية أسرتها، وتربية أبنائها "فالتي في مهد التربية المدرسية فهي تعرف مقدار محبة الوطن معرفة تامة، كأن حب الوطن علم من العلوم التي تتلقاها في المدرسة، فهي تطبق العلم على العمل."[٨٦]، وتخصص من يومها وقتًا لحياكة الملابس والأكسية للجنود المشاركين في الحرب ضد الروس، والتي نالت شهادتها العلمية " تعمل وتشتغل بما يفيدها ويفيد عائلتها في الأمور المادية والأدبية معًا، والتي تقترن منهن تكون في بيتها مدبرة محسّنة حالتها وحالة بعلها المعيشية، والتي ليس لها بعل ولها أولاد تقوم بتربيتهم أحسن تربية حتى تؤهلهم إلى أن يكونوا سعداء في الحياة"[٨٧]، همهم الأساس خدمة وطنهم والسعي إلى نصرته والارتقاء به.

وهي في وطنيتها لا تقل عن الرجل، فبعدما رفض الجيش الياباني قبول تطوع أحد الشباب ضمن صفوف القوات المشاركة في حرب الروس؛ لأنه المسؤول عن رعاية أمه التي لا زوج لها، عاد إلى أمه حزينًا كاسف البال، فلم يكن منها إلا أن أخذت بيده ودخلت

غرفة في البيت وتناولت سكينًا وقالت له اذهب إلى الحرب حيث لا أم لك تكون وحيدها، وبقرت بطنها بالسكين"[٨٨].

ـ الفن الياباني:

اليابانيون شأنهم شأن الشعوب المتحضرة كلها، للفنون عندهم دور مهم في توجيه دفة الرأي العام نحو ما يخدم المصلحة الوطنية. فبالإضافة إلى الإمتاع تعمل الفنون على نشر الفضائل، والتنفير من الرذائل، لاسيما في أوقات الحروب. ففي أثناء الحرب اليابانية الروسية " كانت محال الملاهي ومعاهد التمثيل في بلاد اليابان أندية، ويجتمع فيها الرجال والنساء من كل الطبقات، وتلقى فيها الخطب الحماسية، وتمثل الروايات التي تبعث في الأقوام روح الغيرة... وتحبب الموت إلى النفوس في سبيل الذود عن الوطن والمحاماة عن الجامعة القومية"[٨٩]. وقد كان لهذه الروايات أثرها الواضح في إشعال الحماسة في نفوس اليابانيين، فبعد تمثيل إحداها أمام الجمهور، وكانت تحكي عن وقوع جنديين يابانيين في الأسر والحكم عليهم بالإعدام رميًا بالرصاص " كانت إحدى النساء بين الحضور فأثّر فيها المنظر تأثيرًا عظيمًا، وتخلل الحماس بين الدم واللحم منها، وقالت على ملأ الحاضرين لو كنت أستطيع الذهاب إلى الحرب لكنت أشارك أبناء وطني في حومة الميدان، ولكنني سأفعل ما ينيلني هذه الإربة"[٩٠]، وبعد انتهاء العرض التمثيلي، طلبت إلى ابنها الوحيد التطوع في الجيش، وعندما رُفض طلبه لأنه المسؤول عن أمه، قتلت نفسها ليكون وحيدًا، ويُقبل طلب تطوعه. وأدى الفن التشكيلي دورًا مماثلًا لدور المسرح؛ فقد وجه لإشعال الحماسة في قلوب اليابانيين. يقول الجرجاوي عن لوحة تشكيلية رآها في أثناء جلوسه بأحد المحال العمومية: " رأيت أحد باعة الصور يعرض صوره في الشارع، فتأملت في لوحة من الألواح ، فرأيت مصورًا فيها سبعة من قواد اليابانيين وجنودهم، وأمامهم عساكر من الروس كثيرو العدد، موجهون نحوهم فوهات البنادق والمدافع، كأنهم يريدون منهم التسليم، وهؤلاء يأبون أن يسلموا أسلحتهم، فوجهت نحوهم المدافع، فلما عرف الجنود اليابانيون أنهم ميتون ولا محالة أخذ كل واحد منهم قطعة من الخشب وصاروا يضربون على البنادق كما يضرب المغني على العود، كما أنهم أمسكوا

بيدهم اليمنى سيوفهم واضعين أطرافها في بطونهم، ففهمت من هذه الصورة البسيطة معنى جليلًا. وهو أن الياباني عنده الموت في سبيل الدفاع عن وطنه أشهى من الحياة، وأن أصوات المدافع التي توجه نحو هؤلاء الجنود أشهى عندهم من نغمات الأوتار"(٩١).

ـ التعليم الياباني:

وقف الجرجاوي في رحلته على انتشار التعليم في اليابان، وقدم لقراء رحلته إحصاءً بعدد الجامعات، والمدارس العليا، والمدارس الصناعية العالية، والمدارس الصناعية درجة ثانية، والمدارس التجهيزية، ولم ينظر للتعليم في اليابان من زاوية المنشآت التعليمة فقط، بل من زاويتين أخريين: الأولى استغلال طاقات التعليم في تنمية انتماء الطلاب لوطنهم، وغرس أهمية الانتصار على الروس في نفوس الطلاب، وتأكيد قدرة الفرد الياباني على ذلك، والثانية ما يتعلق بنتائج التعليم ومردوده على المجتمع الياباني.

فعن دور التعليم في تعزيز قيم الانتماء للوطن، وبث الحماسة في النفوس في أثناء الحروب، ينقل الجرجاوي حادثة تداولتها الصحف اليابانية عن زيارة أحد الصحافيين الروس لإحدى المدارس اليابانية، وطلبه من مديرها زيارة أحد الفصول ومشاهدة التلاميذ في فصولهم، "فأدخله أحد الفصول وكانت حصة الجغرافيا، فسر من حالة التعليم وأعجب بنجابة التلامذة وحسن أسلوب المعلم في التدريس. وفيما هو كذلك أبصر خريطة تمتاز عن جميع الخرائط برسم أناس في زي اليابانيين، فدنا من الخريطة وشاهد مرسومًا فيها منشوريا وكوريا* مبينًا فيها المواقع والبلدان وجميع المرتفعات والمنخفضات، والأرض الصالحة للزراعة وغير الصالحة، والسهول، والحزون، والمضايق، والجبال، والوهاد، والمناجم، والأنهر، والبحيرات، والغابات، وهؤلاء الأشخاص المرسومون في الخريطة رجال من اليابانيين يقيسون المسافات بين كل بقعة وأخرى، ومقادير ارتفاعها عن سطح الماء وانخفاضها، وغير ذلك من المسائل التي تجعل الطالب كأنه يرى منشوريا وكوريا رأي العين، بحيث لا يغيب عنه منها قيد شبر"(٩٢).

هذا الوصف الدقيق للمدينتين المحتلتين من الروس الغرض منه إفهام الطلاب أن النصر على الروس أكيد، لكنه يجب أن يكون نصرًا بلا خسائر، فأرسلت الدولة من

يدرس طبيعة المكان، لمعرفة خفاياه، يقول:" نقصد به تفهيمكم أننا سنطرد الروس من هذه البقاع، ولكن قبل أن نعرّض جنودنا للخطر في مخارمها وفجاجها، بعثنا رجالًا يعرفون المواقع الصالحة لمرور الجيش منها بحيث يأمن فيها من الأخطار"(٩٣).

وفي زيارة الصحفي لفصل آخر وجد التلاميذ يقومون بحل مسائل حسابية مفرداتها جنود، وبنادق، ورصاص، وقتلى من الروس. "جيش من اليابانيين يريد أن يجتاز مضيق موتو في كذا من الساعات، فكم يكفي من الرصاص لكل جندي وهو يجتاز هذا المضيق إذا كان ما يطلقه في الدقيقة الواحدة كذا"(٩٤).

وقف الجرجاوي _ أيضًا _ على مخرجات التعليم الياباني، وعرض لقرائه ما يؤكد قوة هذه المخرجات، وعلاقاتها بالحياة اليومية في اليابان، فمن نتائج التعليم القوي ما توصل إليه الطب الياباني من اختراع " حبوب يأمن من يتعاطاها من أخطار داء الدسنتارية، وهذه الحبوب تستعمل عند كل الطبقات من الأمة، حتى إن الحكومة جعلتها من الأشياء الضرورية للجنود، وهي مفيدة أيضًا من حيث البرد؛ فإن من يتعاطاها يقوى على احتمال البرد القارص والزمهرير الشديد، وكل جندي في زمن الحرب كان يحمل معه علبة فيها عدد وافر من هذه الحبوب"(٩٥).

ومن نتائجه النبوغ في الهندسة البحرية وصناعة السفن، فعندما انتقد أحد الغربيين _ في حضرة الكونت (كاتسورة)، أحد رؤساء وزراء اليابان _ على اليابانيين أنهم لم يصنعوا سفنهم الحربية في أوروبا، كان رده " إن هذا اللوم يجب أن يوجه منا إلى أوروبا التي لم تصنع مراكبها الحربية وأسلحتها في معامل اليابان"(٩٦) وكذلك في هندسة الكباري، يقول الجرجاوي عن أحد الكباري التي شاهدها: " ومن أغرب ما رأيناه في مسيرنا أن الوابور مر في سيره على كوبري فوق نهر، وهذا الكوبري كان قبل أن يصل الوابور معلقًا في الفضاء بواسطة أعمدة منصوبة لرفعه ووضعه بمهارة غريبة، فلما وصل القطار أنزل الكوبري على النهر وبعد مرور القطار رفع ثانيًا، وهذا دليل على ما وصلت إليه اليابان من الرقي الصناعي بواسطة العلوم التي تلقوها واجتهدوا في نشرها"(٩٧).

ـ الصحافة اليابانية:

حسب منهجه اهتم الجرجاوي بالوقوف على حال الصحافة في اليابان، فرآها كما هي في سائر الدول المتقدمة، "فمنها اليومية والأسبوعية والمصورة والهزلية... والمجلات منها الشهرية والنصف شهرية والأسبوعية"[٩٨]، كلها _على اختلاف مشاربها_ مهمومة بمصالح الوطن " فلا يسمع بجريدة مشربها المطاعن الشخصية، ولا يوجد صحفي داخل السجون بسبب الطعن الشخصي"[٩٩].

ـ الشرطة اليابانية:

حالة الرقي المنتشرة في ربوع اليابان كما يلمسها الزائر في مستوى التعليم، وحرية الصحافة، والمخترعات الحديثة، يلمسها أيضًا في الشرطة اليابانية؛ فهي "من أرق بوليس في العالم في الأدب ومعرفة الواجبات"[١٠٠]، بتصرفات أفرادها، وحسن تعاملهم مع الغرباء، فإذا سأل أحد الغرباء الشرطي عن مكان وكان قريبًا منه وداخلًا في دائرة اختصاصه، وكان قريبًا دلّه بلطف عليه، وإذا كان بعيدًا يوصله إلى الجندي الذي يليه، الذي يفعل مثله حتى يصل الغريب إلى مراده، وإذا " وجد غريبًا يشري بعض الأشياء يراقب حركاته وسكناته في حالة الشراء ويعرف مقدار المشترى إن كان بالوزن أو الكيل أو غير ذلك، ويصرف مقدار الثمن ثم يعدّ النقود التي مع المشتري وهكذا"[١٠١]، ليتأكد من عدم خداعه من الباعة.

ـ القصاصون في اليابان:

القصاصون في اليابان مثل القصاصين في مصر يجلسون في المقاهي والمحال العمومية ويحدثون العامة بسير وحكايات السابقين، لكن الفرق بينهما، أنهم في اليابان" متخرجون من مدارس أنشئت لهذا الغرض"[١٠٢]، كما أنهم لا يقصون على مرتادي المحال العمومية قصصًا خيالية، ولا قصصًا مفعمة بالخرافات، بل قصصًا حقيقة لها في التاريخ ذكر.

وبعد انتهاء القاص من قصته يمنحه الحضور بعض المال تقديرًا له، وفي الحال تجد القصة "مطبوعة وموزعة على الحضور، لأنه توجد مطبعة في كل محل يوجد به

القصاص، ثم توزع القصة على الحاضرين بصفة البيع فيشترونها، والقيمة التي تجمع يعطى منها القصاص قيمة أتعابه، والباقي يحفظ في صندوق خاص بالكنيسة لأجل أن يوزع على الفقراء وعلى الأعمال الخيرية"[١٠٣].

▪ الخطباء في اليابان:

البوذيون هم الفئة اليابانية البارعة في الخطابة، فلهم مدارسهم التي يتلقى فيها الطلاب مبادئ المذهب البوذي، ويتمرنون على الخطابة، ومن عادة الخطيب أن يمسك في يده قطعة من الأبنوس الأسود طولها ثلاثون سنتيمتر تقريبًا يشير بها عند علو الصوت وانخفاضه"[١٠٤]، ومما يميز الخطابة في اليابان أنها تبعث في النفوس " الحماس والحمية والهمة والغيرة على الوطن"[١٠٥].

▪ دفن الموتى:

المدة التي قضاها الجرجاوي في اليابان سمحت له بالاطلاع على طقوس وعادات اليابانيين، والوقوف أمام بعضها، ففي رحلته يصور للقارئ الطقوس التي يتبعها اليابانيون في مراسم دفن موتاهم. فيقول عن البوذيين: " لهم صفة غريبة في جنازاتهم فإذا مات أحدهم يضعون النعش على عربة يتقدمها رجال يحملون قطعًا من الشجر بأيديهم وهذه القطع مربوط فيها قطع صغيرة من الغاب مزدوجة وكل قطعة مكتوب عليها اسم من كان صديقًا وخلًّا للميت في حال حياته بحروف واضحة، بحيث يمكن لكل أحد ممن يمشون في الجنازة من أهل البلاد قراءتها. ومقدار عدد هذه القطع يكون عدد الذين كان الميت صديقًا لهم. ويقصدون بذلك إظهار محبتهم للميت كما كانوا يظهرونها له في حياته"[١٠٦].

ويقول عن طقوس الوثنيين:" يقدمون النعش أولًا محمولًا على عربة ثم يليها أهل الميت وأقاربه ثم أصحابه وأصدقائه. وهم مخالفون لكل أهل دين ومذهب في لباس الحداد. إذا العادة أن السواد هو لون الحداد ولكن هؤلاء يلبسون الثياب البيضاء خصوصًا إذا كان الميت عزيزًا عليهم. وهم لا يمنعون الكلام في الجنازة بخلاف البوذيين.

لأن من مبادئهم المذهبية أن العاقل لا يظهر حزنه وجزعه؛ حيث إن الموت واقع على كل إنسان. وإذا كان أحدهم عنده شيء من المكدرات يعمل جهده في إزالته ويبدلها بالفرح والسرور حتى لا يظهر عليه أثر الحزن"(١٠٧).

ويقول عن طقوس المسيحيين: "كغيرهم من سائر المسيحيين في سائر البلدان الأخرى حيث يتقدم الجنازة رجال من القسيسين وبعض تلامذة يحملون المباخر ويرتلون بعض الأناشيد الدينية المعتادة في مثل هذه الحالة، ثم بساط الرحمة، ثم النعش موضوعًا على عربة سوداء يجرها أربعة من جياد الخيل. وبعد النعش أقارب الميت فالمشيعون. وبعد الصلاة عليه في الكنيسة يذهبون به إلى القبر لدفنه"(١٠٨).

- الطعام الياباني:

في رحلته من طوكيو إلى كيوتو عاصمة اليابان القديمة، مع صاحبيه: الحاج مخلص محمود، والسيد حسين عبد المنعم، يصف الجرجاوي نوعًا من الطعام الياباني قائلًا: " في سيرنا أحسسنا بالجوع، واخترنا أن لا نأكل غير الخبز والسمك فلم يتيسر لنا ذلك، فرأينا بعض الباعة في إحدى المحطات يحملون علبًا أشبه شيء بصناديق صغيرة الحجم مربعة من الخشب، يبلغ حجم الواحدة منها عشرين سنتيمترًا، وعلمنا أن بداخلها شيئًا من المأكولات، فاشترينا ست علب لكل منا علبتان، فتحناها فإذا بها الأرز المفلفل اللذيذ الطعم في جانب من العلبة، وفوقه قطعة من العجة المتخذة من بيض الدجاج، وفيها لقمة من الخبز، ومن الجانب الآخر قطعة من السمك المقلي في الزيت، وشيء من الخضروات لم نعرف اسم نوعه، ويفصل الأرز عن غيره قطعة من الخشب الرقيق، وبأسفل العلبة شيء من الحمص الكبير الحبات مطبوخ ومملح، وكل هذه الأطعمة اللذيذة تسمى بنتو"(١٠٩). ويقول عن الملعقة: " ومن الغريب أن الملعقة التي يؤكل بها الأرز قطعتان من الخشب صغيرتان، إحداهما لليد اليمنى والأخرى لليد اليسرى، والتي لليد اليمنى مجوفة عريضة، والتي لليسرى أقصر منها وأقل عرضًا، ووظيفة هذه تهيئة الأرز لتلك بحيث يسهل عليها تناوله"(١١٠).

ـ الأعياد في اليابان:

لليابانيين أعياد سنوية يجلّونها أعظم الإجلال، ويتفننون في مظاهر الاحتفال بها، "ويلبسون فيها أحسن الأزياء، ويتبادلون كؤوس الصفاء والمودة والإخاء، ويبذلون فيها الخيرات لذوي الحاجات"[١١١]، مثل: عيد مؤسس العائلة المالكة الإمبراطور (جيمو)، في الثامن من مارس كل سنة، وعيد عدّ طوكيو عاصمة للإمبراطورية اليابانية، في العاشر من إبريل من كل سنة.

ـ السياحة في اليابان:

لم يقف الجرجاوي أمام مقومات السياحة في اليابان وقوفًا مباشرًا؛ فقد تحدث في غير موضع عن الطبيعة اليابانية الخلابة، والآثار القديمة، والإنجازات الحديثة، الجاذبة السائحين إلى اليابان، واكتفى بعرض إحصائية عددية عن دخل اليابان المتنامي من السياحة، في أعوام ١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٥،١٩٠٦، مشيرًا إلى براعة اليابانيين في استثمر طاقات بلدهم، فيما يعود عليهم بالنفع.

هذه الصورة الشمولية للآخر الياباني، ببعدها الإثنوجرافي لا وجود لها في الرحلة كلها، وهو أمر طبيعي ومقبول؛ لطول المدة التي قضاها الجرجاوي في اليابان، فقد سمح له طول المقام بالتغلغل في تفاصيل المجتمع الياباني، والوقوف على دقائق حياتية ميزت الآخر الياباني عن غيره. لذا نراه بسبب ضيق الوقت يعود إلى المرتكزات التي حددها عناصر أساسية في صناعة صورة الآخر، في أثناء رسمه لصورة الآخر الصيني، والآخر الهندي.

ـ الآخر الصيني:

في رسمه لصورة الآخر الصيني، توقف الجرجاوي أمام البعد المادي للشخصية الصينية " رأيت أهل الصين على اختلاف المذاهب متفقين أغلبهم على إرسال شعر الرأس مضفورًا ضفيرة واحدة، وشواربهم ملوية لأسفل مع طولها"[١١٢]، وركز على وجود متناقضين في شخصية الآخر الصيني: الأول "يغلب عليهم طبيعة الكسل والفتور، وذلك لأن أكل الأفيون عندهم ضروري، وهو داعية الكسل والخمول"[١١٣] وقد جُرم تعاطيه .

كما يقول . بأمر الإمبراطور، والثاني العمل بجد " ولأهل الصين اعتناء زائد بأمر الزراعة والفلاحة، حتى إنه لا يوجد نوع من أنواع البقول أو الفواكه أو غير ذلك من المزروعات الموجودة في العالم إلا عندهم خبرة بزراعته، ومن كثرة اعتنائهم بفلح الأرض واهتمامهم بشأن الزراعة يعملون احتفالًا باهرًا في كل سنة يحضر فيه (نفس الإمبراطور)* ويمسك بيده المحراث ويحرث الأرض"(١١٤).

ووضع أمام القارئ من خلال وصف محدود صورة معبرة لمدينة هونج كونج، فهي " عامرة بأنواع المتاجر الفاخرة والعمائر الضخمة وحسن انتظام طرقها ومسالكها، وماذا عساي أن أقول في وصف مدينة لم يقع نظري على شيء فيها إلا شاقه وأعجبه"(١١٥).

▪ الآخر الهندي:

توقف الجرجاوي بالهند، وهو في طريق عودته من اليابان، ورسم صورة واضحة للآخر الهندي، تبرز فيها ملامح المدن التي نزل بها، وأوصاف أهلها المادية والمعنوية، وحالة التعليم والصحافة فيها.

يقول عن سكان مدينة (كلكته) الهندية: " أما السكان في هذه المدينة البالغ تعدادهم نحو المليون وثلاثمائة ألف، من البنغالية، والهندوس، والماوارية، فهم من أهل نحل ومذاهب متعددة"(١١٦)، ويصف البنغاليين وصفًا ماديًا قائلًا: "يغلب عليهم السواد وضخامة الجسم، وهم يلبسون نوعًا من الثياب يقال له <<لنفوته>>، وهو عبارة عن إزار طويل يلف على الخصر، ويؤخذ طرفه ويدخل بين الرجلين، ويرشق عند منتهى سلسلة الظهر، وما يبقى من سائر الجسم يبقى في الغالب عاريًا" (١١٧)، ويشير إلى أهم صفاتهم النفسية بقوله: " هم سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم، ولا يألفون الذل إلا قهرًا وبعد نفاد جلدهم"(١١٨)، محبون للمال "كاليهود يبذلون الجهد في جمع الدرهم"(١١٩).

ويقول عن الماواريين " لونهم أبيض مع اعتدال القامة وشيء من تقاسيم الحسن والجمال"(١٢٠)، وعن ملابسهم:" هم في الزي أقرب إلى البنغاليين، ولكنهم يخالفونهم في إرخاء الإزار وستر باقي الجسد، ووضع منديل أو قلنسوة على رءوسهم*"(١٢١)، وعن موقفهم من جمع المال: " لهم ولع لا مزيد عليه في جلب الدراهم"(١٢٢).

ويضع أمام القارئ صورة لمدينة (كلكته) العاصمة الإنجليزية للهند تظهر فيها مظاهر التحضر والتمدن " هي أكبر مدينة في سائر الأقطار الهندية... الحركة التجارية فيها كأعظم ما يكون في العواصم والمدن الأوروبية... وفيها الكثير من الأسواق الحافلة بأنواع البضائع الثمينة... والمحال التجارية الكبرى التي تبهر العقول وتأخذ بمجامع القلوب"(١٢٣).

ووَفْق الركائز التي حددها الجرجاوي لنفسه في رسمه لصورة الآخر، يقف على حال التعليم في الهند، فيقول:" درجة التعليم فيها منحطة، والمدارس الموجودة في كلكته وغيرها من المدن الأخرى غير وافية بالحاجة"(١٢٤)، ويرجع قلة عدد المدارس وضعف مستوى التعليم إلى" أن الحكومة الإنجليزية ترى من صالحها ألا يرتقي الأهالي لأن في ترقيهم نهوضهم، وفي نهوضهم نزوع إلى طلب الاستقلال"(١٢٥)

ويقف أمام الصحف الهندية، مشيرًا إلى صدورها باللغات البنغالية والهندية، والإنجليزية، وتنوعها بين يومية وأسبوعية، " ولكن نسبة هذه الجرائد إلى عدد الأهالي قليل جدًا"(١٢٦)، وإلى أنها هي صحف موجهة؛ فصحف البنغاليين " ترمي إلى غرض واحد، وهو تنفير الأهالي من الإنكليز، وإغراء المسلمين بالانضمام إليهم"(١٢٧). والصحف التي يصدرها الإنجليز " ترمي إلى غرض واحد، هو تحذير المسلمين ونصحهم بألا يغتروا بأقوال تلك الصحف"(١٢٨).

٣- الآخر المحتل:

وقف الجرجاوي كثيرًا أمام صورة الآخر المحتل خلال الفترة التي قضاها في تونس، فرسم صورة معبرة للمحتل الفرنسي، وهي صورة استدعت حضور المحتل الإنجليزي في غير موضوع، وعقد مقارنات بين الفرنسيين والإنجليز، صبت _ وهذا الغريب _ في صالح الإنجليز التي كانت مصر تحت نير ظلمهم في الفترة التي كتبت فيها الرحلة.

أكد الجرجاوي على أن مقارناته ليس الغرض منها "مدح سياسة الإنجليز في مصر، ولكن من باب توضيح أن بعض الشر أهون من بعض"(١٢٩)، لكن إشاراته إلى عظمة الإنجليز ودورهم في رقي البلاد التي احتلوها في غير موضع من الرحلة تقول عكس ذلك*، وتؤكد ميوله الإيديولوجية نحو الآخر الإنجليزي.

▪ الآخر الفرنسي:

بدا الآخر الفرنسي المحتل مستبدًا، يسعى جاهدًا في تونس لفرض لغته لتكون اللغة الرسمية للبلاد، وثقافته الغربية بديلًا للثقافة العربية، " فإذا أراد أحد الأهالي أن ينشئ مكتبًا لتعليم الأطفال كالمكاتب الإسلامية التي تعلم القرآن الشريف أجبرته الحكومة على إدخال اللغة الفرنساوية في برجرام التعليم"(١٣٠).

ونظر للتونسيين المسلمين على أنهم من مرتبة بشرية متدنية، " فالوظائف العالية كلها في يد الفرنسويين، والأمر والنهي بيدهم، يفعلون كيف يشاءون، شأن الحاكم المستبد المطلق التصرف، بغير رقيب عليه"(١٣١)، وميز عليهم اليهود فالبدلية " العسكرية يدفعها المسلم ثمانمائة فرنك، وأما اليهودي فيدفع خمسمائة فقط، وإذا دهس الترام مسلمًا فالغرامة التي تدفعها الشركة خمسمائة فرانك، وأما إذا كان يهوديًا فثمانمائة"(١٣٢).

وبلغ الاستبداد مداه بمنع التونسيين من استقبال إخوانهم المسلمين من أهل المدينة المنورة ومكة المشرفة، في بيوتهم "بدعوى الاحتراس من الدسائس والفتن، فإذا قدم مكي أو مدني ضيفًا إلى منزل أحدهم لم يستطع صاحب المنزل إلا إخطار الحكومة وقتيًا"(١٣٣)، وبالإصرار على الاحتفال أسبوعيًا بيوم دخول الفرنسيين تونس، بموكب يطوف شوارع العاصمة التونسية. يقول عنه الجرجاوي: " لم أشك في أنه أحد الاحتفالات الوطنية أو موكب زفاف عروس لأحد الأمراء، ولما سألت قيل إنه احتفال بتذكار اليوم الذي دخلت فيه جنود فرنسا تونس، ففي مثل هذا اليوم من كل أسبوع يُعمل هذا الاحتفال رسميًا ويطوف الجند بهذا الشكل في شوارع المدينة الكبرى"(١٣٤).

يضاف إلى ذلك الأحكام الجائرة* التي كان يحكم بها على التونسيين، التي تتنافي مع حقيقة تحضر فرنسا، وادعاءات العدالة وسيادة القانون التي طالما تغنى بها الفرنسيون. " اتهم القضاء الفرنسي أحد الأهالي التونسيين فحكم عليه لأجلها بخمس عشرة سنة سجنًا مع الأشغال الشاقة، وبعد انقضاء هذه المدة ينفى من القطر التونسي عشرين سنة أخرى."(١٣٥).

مع أن شمس الظلم والاستبداد كانت ساطعة في تونس إلا أن المحتل كان يسعى بكل السبل إلى تجميل صورته، وإقناع الوافدين على تونس قبل أهلها، بدور الفرنسيين في إنقاذ تونس من ظلم الإيطاليين الذين سعوا لاحتلال تونس قبل فرنسا، ومن ظلام الجهل الذي كان الشعب التونسي يرسف في أغلاله. ففي حديقة بالقرب من ميناء تونس وضع الفرنسيون " تماثيل خمسة أشخاص، وهي رجل واقف وأمامه امرأة واقفة باسطة يديها إليه، ورجل آخر ينظر إليها نظر المنكر وبيده شيء يشبه الفأس أو البلطة، وبجانبهما غلامان ينظر أحدهما في كتاب بيد الآخر الذي يشير بأصبعه في الكتاب كأنه يعلمه القراءة فيه، فسألت صاحبي عن هذه التماثيل وهذه الرموز، فقال: أما الرجل الأول فإنه يمثل دولة فرنسا، وأما المرأة فتمثل تونس، وأما الرجل الآخر فإنه إيطالي يمثل دولته التي كانت طامعة في أخذ تونس قبل فرنسا، وكانت ساعية جهدها في احتلالها ثم انعكس عليها الأمر بفوز فرنسا عليها، فكان هذا الرجل الإيطالي ينظر إلى تونس نظر المنكر المستغرب إلى من وعده وعدًا أكيدًا صادقًا فحرمه منه ثم أعطاه لغيره، وأما الغلام الذي بيده الكتاب فهو شاب فرنسوي يعلم شابًا تونسيًا القراءة في هذا الكتاب، إشارة إلى أن فرنسا ستجعل للغتها شأنًا عظيمًا في تونس كما فعلت في الجزائر"(١٣٦).

قرأ الجرجاوي المنحوتات الفرنسية قراءة جيدة؛ فقد رآها أداة يتوسل بها المحتل لقتل الحمية في نفوس التونسيين، وتذكيرهم _ دائمًا _ بعلو هامة الفرنسي، وحاجتهم إلى وجوده، يبرز ذلك في العنوان (تمثال سياسي في تونس) الذي عنون به هذا الجزء من رحلته.

الغريب في صورة الآخر الفرنسي المستبد اختفاء صورة الآخر التونسي المقاوم، فلم يشر الجرجاوي إلى مقاومة التونسيين للفرنسيين، واكتفى _ فقط_ بالإشارة إلى أن أفاضل التونسيين كانوا من الرافضين للتماثيل إذا سئلوا عن معنى رموزها*.

ـ الآخر الإنجليزي:

جاءت صورة الآخر المحتل الإنجليزي في الرحلة مختلفة عن صورة الفرنسي، فبدا مصلحًا، همه الأساس الارتقاء بأحوال البلاد الخاضعة لسلطته الإمبريالية، فقد سعى في مصر إلى " توسيع دائرة التعليم مع الاعتناء بلغة البلاد الرسمية"(١٣٧)، وحض الأهالي على

"إنشاء الكتاتيب، ومحا آثار الظلم والاستبداد، وألغى السخرية والعونة، وجعل الموظفين سائرين على دستور يوقف كلا عند حده"[١٣٨]، وحرص على التطور العمراني، فبدت المدن الشرقية التي دخلها صورة من المدن الأوروبية المعروفة. فمدينة (عدن) اليمينة " في عداد المدن التي دخلتها الحضارة الغربية. فحيثما حللت فيها تجد العمارات التي بنيت على الطراز الأوروبي، وشوارعها متسعة منظمة معتنى بنظافتها، وناهيك باعتناء أبناء التاميز إذا دخلوا بلدًا ووضعوها تحت حمايتهم أو أدخلوها في ممتلكاتهم"[١٣٩]، ومدينة (بومباي) المدنيّة " فيها متوفرة الأسباب خصوصًا بعد استيلاء الإنكليز على الهند"[١٤٠].

خلاصة القول _ كما يرى الجرجاوي _:" لو وضعنا إصلاح فرنسا في تونس في كفة ميزان، وإصلاح إنكلترا في مصر في الكفة الأخرى لكان لإنكلترا مزية الأرجحية. فلماذا لا يوجد في مصر تمثال كالذي في تونس، واحتفال كالذي تعمله فرنسا هناك أسبوعيًا تقف فيه مصر موقف المرحب بإنكلترا؟"[١٤١].

اعتمد الجرجاوي على مجموعة مرتكزات في رسمه لصورة الآخر، لم يحد عنها إلا في أثناء رسمه لصورة الآخر الياباني التي ظهر فيها البعد الإثنوجرافي واضحًا، فجاءت أكثر شمولًا، وأكثر تعبيرًا عن حياة الآخر، على عكس بقية الصور التي بدت أقرب إلى الدليل التعريفي منها باللوحة ذات الملامح المتحركة والناطقة بحالة الآخر. ولا يعيب هذا الجرجاوي كثيرًا؛ فقد سعى للتغلب على الطابع التعريفي، الذي من الواضح أنه أدركه، باللغة ذات الأبعاد الجمالية الرقيقة، عن طريق الاستعارات الشفيفة، والتشبيهات البسيطة، والتناص المستغل استغلالًا دقيقًا، والحكايات المتنوعة التي شغلت مساحة لا بأس بها في الرحلة، والأشعار المستخدمة بديلًا للسرد حينًا، ووسيلة للتعريف حينًا آخر، فكلها مجتمعة صنعت حالة من المزج بين التسجيل والشعور الخاص تجاه المسجل، تلك الحالة التي اشترطها عبد الرحيم مودن ليكون النص التسجيلي رحلة.

٤_ الذات في الآخر:

هناك تلازم بين مفهوم صورة الذات ومفهوم صورة الآخر " فاستخدام أي منهما يستدعي تلقائيًا حضور الآخر، ويبدو أن هذا التلازم على المستوى المفاهيمي هو تعبير عن

طبيعة الآلية التي يتم وفقًا لها تشكل كل منهما. فصورتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن كل صورة للآخر تعكس بمعنى ما صورة للذات"[١٤٢].

قد يكون حضور صورة الذات حضورًا مباشرًا في النص الرحلي من خلال المقارنة المقصودة التي يعقدها الرحالة بين صورة الآخر وصورة الذات، أو حضورًا غير مباشر كامن في المسكوت عنه المستنبط من بين ثنايا النص. والصورتان حاضرتان في الرحلة اليابانية حضورًا بارزًا، فنلمس الحضور المباشر في مقارنة الجرجاوي بين صورة الشرطي الياباني، والشرطي المصري، وفي أمانيّ الجرجاوي الواردة في غير موضع، ونلمس الحضور غير المباشر في المقارنة غير المباشرة بين صورة التعليم في الغرب الأوروبي واليابان، وبين صورة التعليم في البلدان العربية الإسلامية، وفي المقارنة بين صورة المرأة اليابانية وصورة المرأة المصرية.

تحضر صورة الذات/ الشرطي المصري، من خلال المقارنة، فبعد عرض الجرجاوي لصورة الشرطي الياباني الحريص على متابعة الغريب في أثناء الشراء للتأكد من عدم خِدَاعه من الباعة، يقول: " فتذكرت في الحال بوليسنا المصري ووددت أن يكون عنده بعض الشيء من هذه الفضائل بدلًا من أن يجعل سلطته منعكسة في معاكسة الحوذية وصغار الباعة في الشوارع والارتشاء من المحال التي تحوي المقامرين وغيرهم من عوامل الإفساد في البلاد. وفقه الله على سنن الاستقامة وأخرج رجاله الجهلاء الخونة ليسود الأمن في البلاد"[١٤٣]

وتحضر صورة الذات/ مصر بعد حديثه عن السياحة في اليابان، وما تدره من دخل على الحكومة اليابانية، حيث يقول:" فلو أن حكومتنا جعلت ضريبة على السائحين (ولو غير الإنكليز) لحصلت منهم على مبالغ طائلة، لاسيما وأن الفوائد التي يتحصل عليها السائحون من مصر أكثر منها في اليابان، ولكن شتان بين أمة عرفت كيف ترقى بلادها وأمة تجود على الغرباء وهي في أشد الحاجة إلى ما تجود به"[١٤٤].

وتحضر صورة الذات/التعليم في مصر، من خلال المقارنة غير المباشرة بين التعليم في المدرسة الشرقية بمدينة (نابلي) الإيطالية، والتعليم في مصر، بلد الأزهر، حيث يقول:"

فلينظر المصري العربي إلى هذه العناية إلى العظمى بأمر اللغة العربية والقرآن الشريف من قوم ليسوا من العرب ولا ممن يدينون بالدين الإسلامي الحنيف، وليقارن بينها وبين ما تلاقيه لغتنا في نظارة المعارف من عدم الاهتمام بها وليتخذ له بذلك عبرة"(١٤٥).

في ثنايا دعوة الجرجاوي للمقارنة بين حال تعليم اللغة العربية في (نابلي)، وحال تعليمها في مصر، يكمن المسكوت عنه، الذي يمكن للقارئ الإمساك به بسهوله؛ فهو _ من خلال مفردات صورة التعليم في نابلي _ لن يخرج عن ضعف المناهج، وتخلف وسائل التدريس عن ركب التطور، وتدني مستوى الطلاب. وبالطريقة نفسها تحضر صورة الذات/ المرأة المصرية، بعد الحديث عن السجايا التي اكتسبتها المرأة اليابانية من التعليم، حيث يقول: " هذا ما وصلت إليه المرأة اليابانية بفضل التربية والتعليم ... فلو اعتنى المصريون الاعتناء الحقيقي بتربية الجنس اللطيف لما كنا نرى من هذه المفاسد والأمور الموجبة للأسف شيئًا يذكر"(١٤٦).

سكت الجرجاوي عن المفاسد والأمور الموجبة للأسف، تاركًا لقرائه استنباطها من مفردات الصورة التي رسمها للمرأة اليابانية، وعدد السجايا التي تتحلى بها، ولغة السكوت هنا أقوى من لغة التصريح وأفصح.

خـــاتمة:

بعد هذا الإبحار في الرحلة اليابانية، والوقوف على أنماط صورة الآخر فيها، والمرتكزات التي اعتمد الجرجاوي عليها في رسمه لصورة الآخر، تخلص الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولًا_ شغل الآخر التونسي مساحة كبيرة من رحلة الجرجاوي، تقارب المساحة التي شغلها الآخر الياباني الذي اتجهت الرحلة إلى فضائه. والملاحظ على صورة الآخر التونسي، اهتمام الجرجاوي بالفرد، وتعليمه، ودينه، وبيئته، وموقفه من الخلافة الإسلامية، مرتكزات أساسية في رسم ملامح صورته، واختفاء البعدين الاجتماعي والاقتصادي من صورته.

ثانيًا_ صورة الآخر العربي في مجملها صورة سلبية، فلا دور له في ركب الحضارة العالمية، وجهوده المبذولة لا توحي بدور مستقبلي.

ثالثًا_ صورة الآخر المسلم في الرحلة لم تختلف كثيرًا عن صورة الآخر العربي، فقد جاء المسلمون أهل بدع، يؤمنون بعقائد الآخرين الفاسدة، ويعدونها جزءًا من عقيدتهم.

رابعًا_ حضر الآخر الأوربي فضاءً في الرحلة، وتقلص حضوره شخصية، ونجح الجرجاوي في رسم صورة معبرة لهذا الفضاء، الذي بدا أكثر تحضرًا وأعظم تمدنًا.

خامسًا_ لم تختلف المفردات المشكلة صورة الآخر الأوربي كثيرًا عن المفردات التي شكلت صورة الآخر العربي، والآخر المسلم: فالجرجاوي يقف _ كعادته _ أمام البيئة، وحال التعليم، والوضع الثقافي، وسمات الشخصية المادية والمعنوية، ونادرًا ما تجتمع المفردات كلها في صورة واحدة.

سادسًا_ الملاحظ على الصور التي رسمها الجرجاوي للبلاد التي زارها، الاهتمام بكل ما هو من عمل الإنسان، فكثر الحديث عن القصور الفخمة، والحدائق المنسقة، والكنائس العتيقة، والمنائر العظيمة، وإن لم يغفل الطبيعة البكر، كما يلاحظ اختفاء البعدين الإثنوجرافي والإثنولوجي المعني بتحليل المادة الإثنوجرافية.

سابعًا _ المرتكزات التي اعتمد عليها الجرجاوي في رسمه لصورة الآخر، حولت الرحلة في جزء منها إلى دليل تعريفي، لكن الجرجاوي تغلب على ذلك بالاستغلال الجيد لجماليات اللغة، والحكايات المتنوعة، والأشعار المعبرة.

ثامنًا_ رسم الجرجاوي صورة معبرة للمستعمر الفرنسي، وهي صورة استدعت حضور المستعمر الإنجليزي في غير موضوع، وعقد موازنات بين الفرنسيين والإنجليز، صبت في صالح الإنجليز التي كانت مصر تحت نير ظلمهم في الفترة التي كتبت فيها الرحلة.

الهوامش:

١- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(٢)، ١٩٨٣م، ص ٥

٢- عبد الرحيم مودن، أدبية الرحلة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط(١)،١٩٩٧م، ص ٦

٣- عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، ط(١)، ٢٠٠٦م، ص ٢٨

٤- السابق: ص ٢٨

٥- جبور الدويهي، الرحلة وكتب الرحلات الأوربية إلى المشرق حتى القرن الثامن عشر، مجلة عالم الفكر، عدد (٢٣)، أبريل/ يونيو ١٩٨٣م، ص ٥٨.

* البعض يرى أدبية النص الرحلي كامنة في احتوائه على عناصر بلاغية، كحسن الأسلوب وجمال التعبير، والبعض يراها بعيدة عن المرجعية البلاغية، فهو يؤسس بلاغته بمحاورته للغة المعيارية السائدة من جهة، وتقديم الخصائص المضمونية والبنائية للمنتج (الرحلة) من جهة ثانية. انظر الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد لـ عبد الرحيم مودن، ص ٢٤، ٣٧.

٦- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة الحياة، بيروت، ط(٢)، ١٩٧٩م، ص ١٧ .

٧- محمد القاضي، وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط(١)، ٢٠١٥م، ص ٣٤٠.

٨- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، عدد (١٢١)، ٢٠٠٢م، ص ٣٩.

٩- الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، ص ٢٤ .

* تعريفا معجمي المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ومعجم السرديات هما التعريفان المعتمدان عند جل المهتمين بأدب الرحلات، مثل: شوقي ضيف، وحسين فهيم، وناصر الموافي، وفؤاد قنديل، ونوال الشوابكة. انظر الرحلات لـ شوقي ضيف، وأدب الرحلة لـ حسين نصار،

والرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، لـ ناصر عبد الرازق الموافي، أدب الرحلة في التراث العربي لـ فؤاد قنديل، وأدب الرحلات الأندلسية والمغربية لـ نوال الشوابكة.

* صدر من الرحلة اليابانية طبعتان: الأولى صدرت ١٣٢٥هـ. ١٩٠٨م، طبعتها مطبعة الشورى بالفجالة في القاهرة، ويبدو أنها طبعت على نفقة الشيخ الجرجاوي*؛ فقد موّه النُسخ بختمه، وكتب على صفحتها الأولى عبارة" كل نسخة لم يكن عليها ختم صاحب الرحلة تعد مسروقة، ويعاقب حاملها قانونًا"، وهي الطبعة التي ستعتمد عليها هذه الدراسة، والطبعة الثانية صدرت عن دار كشيدة للنشر والتوزيع بالقاهرة، عام ٢٠١٥م، ضمن سلسلة تراث الأزهريين، وهي طبعة _ رغم اجتهاد القائمين عليها _ لا تخلو من أخطاء.

١٠- علي أحمد الجرجاوي، الرحلة اليابانية، مكتبة الشورى، الفجالة، مصر، ط(١)، ١٣٢٥هـ

١١- السابق: ص١٥.

١٢- السابق: ص ٦

*لم يتيسر له السفر مع الشيخ الجرجاوي بسبب مرض ألم به، ذكر الجرجاني ذلك في أثناء ترجمته للشيخ المنوفي، انظر ص ٢٢٥

١٣- الرحلة اليابانية: ص ٦

١٤- الرحلة اليابانية: ص ٢٣٦

١٥- عبد النبي ذاكر، أفق الصورولوجيا، نحو تجديد المنهج، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بج٤-دة، المجلد(١٣)، العدد(٥١)، محرم١٤٢٥هـ.٢٠٠٤م، ص ٣٨٨

١٦- سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، (بدون)، ص ٢١١

١٧- دانيال هنري باجو، الأدب العام والأدب المقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٧م، ص٨٩

١٨- ماجدة الحمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط(١)، ٢٠١٠م، ص ٩

١٩- الأدب العام والأدب المقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٧م، ص ٩٠.

٢٠- دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص ٢١

٢١- الأدب العام والأدب المقارن، ص ٩١

٢٢- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط(٩)،٢٠٠٨م، ص ٣٣١

٢٣- سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي (دراسة مقارنة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص ١٤٥

٢٤- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ،١٩٩٤م، مادة (أخر)

٢٥- مجيد صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ج(٢)،١٤١٤هـ،١٩٩٤م، ص ١٣١

٢٦- سعد البازعي، وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ط(٣)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٣١

٢٧- نادر كاظم، تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٠

٢٨- عصام عبد الله، الآخر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٠

٢٩- جان فارو، الآخر بما هو اختراع تاريخي، ضمن بحوث كتاب الآخر منظورًا إليه، ص ٥٦

* انظر" عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين" لـ عبد الله إبراهيم، وتمثيلات السود: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط" لـ نادر كاظم.

٣٠- جان بول سارتر، الأبواب المقفلة، ترجمة هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون)

٣١- رجاء بن سلامة، المقدس والغيرية، قراءة في بعض نصوص أدب الرحلة، مجلة الحياة الثقافية، عدد (٩٩)، نوفمبر، ١٩٩٨م

٣٢- شحاتة عبد المنعم، أنا والآخر سيكولوجية العلاقات المتبادلة، ط(١)، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٤٠

٣٣- الرحلة اليابانية، ص ٤١

٣٤-السابق: ص ٤١

٣٥- السابق: ص ٤١

٣٦- السابق: ص ٦٢

٣٧- السابق: ص ٤١

٣٨- الرحلة اليابانية: ص ٤١، ٤٢

٣٩- السابق: ص ٤٢، ٤٣

٤٠- السابق: ص ٤٢

٤١- السابق: ص ٤٢

٤٢- الرحلة اليابانية: ص ٤٣

٤٣- السابق: ص ٤٥

٤٤- السابق: ص ٤٦

٤٥- السابق: ص ٤٧

٤٦- السابق: ص ٤٠

٤٧)- أدب الرحلات، ص٤

٤٨- الرحلة اليابانية: ص ٨٥، ٨٦

*المقصود الإنجليز، نسبة لنهر التايمز

٤٩- الرحلة اليابانية: ص ٨٩،٩٠

٥٠- السابق: ص ٨٧

٥١- السابق: ص ٨٧

٥٢- السابق: ص ٨٧

*مدينة يمنية تابعة لمحافظة حضرموت

٥٣- السابق: ص ٩٠

٥٤- السابق: ص ٩٠

٥٥- السابق: ص ٩٠

٥٦- الرحلة اليابانية: ص ٩٦

٥٧- السابق: ص ٩٦

٥٨- السابق: ص ١٠١

٥٩- السابق: ص ٩٧

٦٠- السابق: ص٩٧

٦١- الرحلة اليابانية: ص ١٠١

* وردت هكذا في النص والصواب ربما يتجاوزون، فينالون.

٦٢-السابق: ص ٩٤، ٩٥

٦٣- السابق: ص ٢١٧

٦٤- السابق: ص ٢٢٣

* لم يهتم الجرجاوي بمدينة (طراباني)، بسبب قصر المدة التي مكثتها الباخرة في مينائها" ولم تمكث الباخرة بها سوى ثلاث ساعات؛ فلذلك لم أتمكن من النزول إليها ومشاهدتها" انظر الرحلة، ص ٣٢

٦٥- الرحلة اليابانية: ص ٢٢

٦٦- السابق: ص ٢٣

٦٧- السابق: ص ٢٣

٦٨- السابق: ص ٢٢

٦٩- السابق: ص ٢٣

٧٠- السابق: ص ٣٠، ٣١

٧١- السابق: ص ٢٣

٧٢- الرحلة اليابانية: ص ٢٨، ٢٩

٧٣- السابق: ص ٢٦

٧٤- السابق: ص ٢٥

٧٥- السابق: ص ٢٥

*وردت هكذا في النص، والصواب لا يلحن أبدًا.

٧٦- السابق: ص ٢٤، ٢٥

٧٧- السابق: ص ٢٨

٧٨- السابق: ص ٢٥

٧٩- السابق: ص ١٠

* انظر الرحلة اليابانية: ص ٢٧، ٢٨

٨٠- لسابق: ص ٣٣

٨١- السابق: ص ٣٣

* الشرقي هنا جغرافيًا وليس ثقافيًا

٨٢- الرحلة اليابانية: ص ١٧٣

٨٣- السابق: ص ١٧٣

٨٤- السابق: ص ١٧٤

٨٥- السابق: ص ١٧٥

٨٦- السابق: ص ١٧٥

٨٧- السابق: ص ١٧٥

٨٨- الرحلة اليابانية: ص ١٧١

٨٩- السابق :ص ١٧٠

٩٠- السابق: ص ١٧١

٩١- السابق: ص ١٧٨

*مدينتان يابانيتان استولى عليهما الروس

٩٢-الرحلة اليابانية: ص ١٨٦

٩٣- السابق: ص ١٨٦

٩٤- السابق: ص ١٨٧

٩٥- السابق: ص ١٩٢

٩٦- الرحلة اليابانية: ص ١٩١

٩٧- السابق: ص ٢٠٧

٩٨- السابق: ص ١٩٦

٩٩- السابق: ص ١٩٦

١٠٠-السابق: ص ١٧٩

١٠١- السابق: ص ١٧٩

١٠٢- الرحلة اليابانية: ص ١٩٩

١٠٣- السابق: ص ١٩٩

١٠٤- السابق: ص ١٩٨

١٠٥- السابق: ص ١٩٨

١٠٦- السابق: ص ١٨٠

١٠٧- السابق: ص ١٨٢

١٠٨- الرحلة اليابانية: ص ١٨٢

١٠٩- السابق :ص ٢٠٥

١١٠- السابق: ص ٢٠٥

١١١- السابق: ص ٢٠٠

١١٢- الرحلة اليابانية: ص ٩٧

١١٣- السابق: ص ١٠٢

*وردت هكذا في النص، والصواب الإمبراطور بنفسه.

١١٤- السابق: ص ١٠٢

١١٥- السابق: ص ٩٥

١١٦- الرحلة اليابانية: ص ٢١٦

١١٧- السابق: ص ٢١٧

١١٨- السابق: ص ٢١٧

١١٩- السابق: ص ٢١٧

١٢٠- السابق: ص ٢١٧

* وردت هكذا في النص، والصواب رؤوسهم.)رءوسهم)

١٢١- السابق: ص ٢١٧

١٢٢- السابق: ص ٢١٧

١٢٣- السابق: ص ٢١٥، ٢١٦

١٢٤- السابق: ص ٢١٨

١٢٥- السابق: ص ٢١٨

١٢٦- السابق: ص ٢٢٢

١٢٧- السابق: ص ٢٢٣

١٢٨- الرحلة اليابانية :ص ٢٢٣

١٢٩- السابق: ص ٥٠

* في موضع واحد وقف الجرجاوي ضد سياسة الإنجليز، انظر ص ٢١٨

١٣٠- السابق: ص ٥٤

١٣١- السابق: ص ٥٠

١٣٢- السابق: ص ٥٣، ٥٤

١٣٣- السابق: ص ٥٦

١٣٤- الرحلة اليابانية: ص ٥٩

* أفاض الجرجاوي في الحديث عن هذه النقطة. انظر الصفحات ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥

١٣٥- السابق: ص ٥٣

١٣٦- السابق :ص ٥٨، ٥٩

* انظر ص ٦٠ من الرحلة

١٣٧- السابق: ص ٥٠

١٣٨- الرحلة اليابانية: ص ٥٠ " بتصرف"

١٣٩- السابق: ص ٨٩، ٩٠

١٤٠- السابق: ص ٩١

١٤١- السابق: ص ٦١

١٤٢- فتحي أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م، ص ٨١٢

١٤٣- الرحلة اليابانية: ص ١٨٠

١٤٤- السابق: ص ١٩٥

١٤٥- السابق: ص ٢٥

١٤٦- السابق: ص ١٧٦

المصادر والمراجع:

١_ جان بول سارتر: الأبواب المقفلة، ترجمة هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون).

٢_ جان فارو: الآخر بما هو اختراع تاريخي، ضمن بحوث كتاب صورة الآخر ناظرًا منظورًا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط(١)، ١٩٩٩م.

٣_ حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(٢)، ١٩٨٣م.

٤_ حسين فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، عدد(١٣٨)،١٩٨٩م .

٥_ حسين نصار: أدب الرحلة، الشركة المصرية للنشر لونجمان، ومكتبة لبنان، ط(١)، ١٩٩٩م.

٦_ دانيال هنري باجو: الأدب العام والأدب المقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٧م.

٧_ سعيد علوش: إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي (دراسة مقارنة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

٨_ سعد البازعي، وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ط(٣)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٩_ سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، (بدون).

١٠_ شحاتة عبد المنعم: أنا والآخر سيكولوجية العلاقات المتبادلة، ط(١)، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.

١١_ شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، عدد (١٢١)، ٢٠٠٢م.

١٢_شوقي ضيف: الرحلات، دار المعاف، القاهرة، ط(٤)، ١٩٨٧م.

١٣_ عبد الرحيم مودن: أدبية الرحلة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط(١)،١٩٩٧م.

١٤_..................... الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، ط(١)، ٢٠٠٦م.

١٥_عبد الله إبراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧م.

١٦_ عصام عبد الله: الآخر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٧_ فتحي أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م.

١٨_ فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب، ط(١)، ٢٠٠٢م.

١٩_ ماجدة الحمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط(١)، ٢٠١٠م.

٢٠_ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط(٩)،٢٠٠٨م.

٢١_ نادر كاظم: تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط(١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢٢_ناصر عبد الرازق الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات، مكتبة الوفاء، ط (١)١٩٩٥م.

٢٣_ نوال الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط (١)، ٢٠٠٨م.

المجلات:

١_ جبور الدويهي، الرحلة وكتب الرحلات الأوربية إلى المشرق حتى القرن الثامن عشر: مجلة عالم الفكر، عدد (٢٣)، أبريل/ يونيو ١٩٨٣م.

٢_ رجاء بن سلامة، المقدس والغيرية، قراءة في بعض نصوص أدب الرحلة: مجلة الحياة الثقافية، عدد (٩٩)، نوفمبر، ١٩٩٨م.

٣_ عبد النبي ذاكر، أفق الصورولوجيا، نحو تجديد المنهج: مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلد(١٣)، العدد(٥١)، محرم١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م.

المعاجم:

١_ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط(٣)، ١٤١٤هـ.

٢_ مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة الحياة، بيروت، ط(٢)، ١٩٧٩م.

٣_ مجيد صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج(٢)، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

٤_ محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط(١)، ٢٠١٥م.

المواقع الإلكترونية:

http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=4699.